



This book is provided in digital form with the permission of the rightsholder as part of a Google project to make the world's books discoverable online.

The rightsholder has graciously given you the freedom to download all pages of this book. No additional commercial or other uses have been granted.

Please note that all copyrights remain reserved.

About Google Books

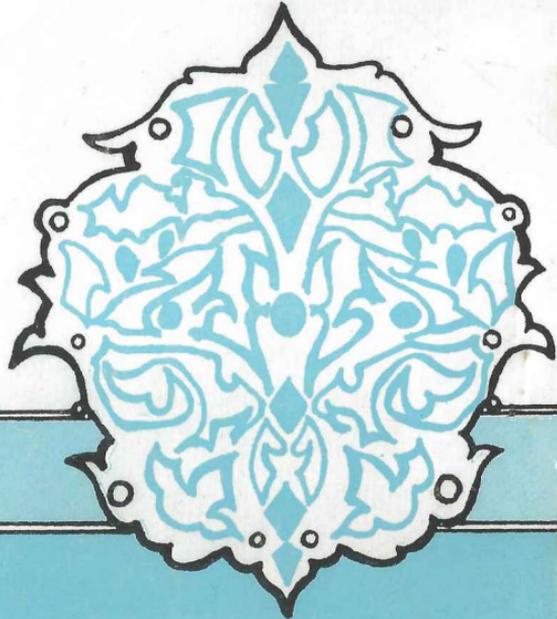
Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Books helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ

١٥

مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ

بِعْتَادِ
فَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ
أَخِي مُحَمَّدِ عَزَّ الدِّينِ الْبَيَّاتُونِيِّ
رَجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى



دار المسجلة

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ

١٥

مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ

بِقِطَاعِ
فَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ
أَحْمَدَ عَزَّ الدِّينَ الْبِيَّانُونِي
رَجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى

دَارُ السَّلَامِ

الطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للمؤلف

دار السالار للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معنى الإسلام

الإسلام معناه الخضوع لله تعالى ، والاستسلام لأحكامه .
فالمسلم الحق يعمل بأمر الله عز وجل ، ويحْتَنِبُ ما نهى
عنه ، ويخضع لأحكامه ، ويحْتَكِمُ إليه في جميع أمورهِ .

قال الله تعالى :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر
بينهم * ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت *
ويسلموا تسليماً ﴾^(١) .

﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله
ليحكم بينهم ، أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾^(٢) .

(١) - النساء

(٢) - النور .

وعلى هذا درج المسلمون الأولون رضي الله عنهم ،
فأطاعوا الله ورسوله في المنشط والمكروه ، وفي العسر واليسر ،
تلقوا الأوامر للتنفيذ ، وتعلموا الأحكام للعمل .

فأأمروا بشيء إلا استجابوا ، ولا نهوا عن شيء
إلا اجتنبوا ، ولا نزل فيهم حكم من الله ورسوله إلا استسلموا
إليه راضين ، وعملوا به مدعنين .

أمرهم بالتوحيد ، فهدموا الأصنام ، وعبدوا الله وحده .

وعرض عليهم الصلاة فأقاموها ، وأمرهم بالزكاة فأدّوها ،
وبالإمساك عن شهوات النفس في الصيام فأمسكوا ،
وبالتجرد لله تعالى في الهجرة والحج فتجردوا ، وبيذل الأموال
والأنفس في سبيل الله فبذلوا ...

ونهاهم عن الخمر فأراقوها ، وعن الفحشاء فاجتنبوها ،
وعن الربا فتركوه ، وعن اليسر فمنعوه ...

لم يعتذروا عن شيء من ذلك ، بما ألفوه من عوج ولم
يجدوا في امتثال الأمر ، واجتناب النهي ، من حرج ...

رأى رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه
فطرحه ، وقال : « يعمد أحدكم إلى جمره من نار ، فيجعلها
في يده » !

فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك
انتفع به .

قال : لا والله ، لا أخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ (١) .

ولما كان يوم أحد ، أقبلت امرأة تسعى ، حتى كادت أن
تشرف على القتلى ، فكره النبي ﷺ أن تراه ، فقال : « المرأة
المرأة » .

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه : فتوسمت أنها أمي
صفية - أي : بلغها أن المشركين قتلوا أخاها حمزة رضي الله
عنه ، ومثلوا به ، فهي تريد أن تراه - .

قال الزبير : فخرجت أسعى إليها ، فأدركتها قبل أن
تنتهي إلى القتلى ، فَلَدَمْتُ في صدري - أي دفعتني - وكانت

(١) رواه مسلم .

امراً جليدة - أي قوية شديدة - وقالت : إليك عني ، لا أرض لك .

فقلت : إن رسول الله ﷺ عزم عليك - أي أمرك أن لا تذهبي - .

قال : فوقفت^(١) ...

وتخلف كعب بن مالك وصاحباؤه رضي الله عنهم عن غزوة العسرة ، فنهى النبي ﷺ المسلمين عن كلامهم ، فالكلمهم أحد طيلة أربعين يوماً .

ثم أمرهم بعد الأربعين أن يعتزلوا نساءهم فاعتزلوهن عشرة أيام ، وتحملوا هجر المسلمين خمسين يوماً ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم ، حتى تاب الله عليهم ، وفرحوا بذلك أشد الفرح ، وفرح بهم المسلمون ، وأقبلوا عليهم يكلمون ويهتئون .

هكذا كان انقياد المسلمين الأولين لأمر الله تعالى ، وأمر

(١) رواه البزار وأحمد وأبو يعلى .

رسوله ﷺ ، عملوا بالإسلام كاملاً ، فقطفوا ثماره يانعة ،
 وبرز المجتمع الإسلامي الصالح ، وتم ظهور الإسلام كاملاً على
 أيديهم ، ورفعوا لواءه عالياً ، وأشرقت شمسُه على العالم .

حالة الناس قبل الإسلام

كان الناس في القرن السادس للميلاد ، في جاهلية
 وضلال ، حرّف أهل الكتاب كلام الله ، ونسوا تعاليم رسله ،
 ونسبوا لله الصاحبة والولد ، وضلوا ضلالاً بعيداً .

والوثنية العمياء ضربت أطناها في كثير من بقاع
 الأرض ، فعبد الفرس النار ، وآله الهنود البقر ، وعاش من
 عاش في مجاهل إفريقية عيش الحيوان ، لا معرفة لهم بدين ،
 ولا صلة لهم بنبوات ، ولا هادي لهم إلى رشاد ...

وخرج أكثر العرب عن ملة إبراهيم عليه السلام ، فوقعوا
 في وهدة الوثنية والشرك ، وعبدوا الأصنام ، وتقربوا إليها
 بالأنصاب والأزلام ، ووأدوا البنات حذر العار ، وقتلوا
 الأولاد خشية الفقر ، وتحكم القوي بالضعيف ، وجعلوا في

الناس الوضيع والشريف ، فكانوا قبائل متناحرة متنافرة ،
يشن بعضهم على بعض الغارات ، وتشتعل بينهم كل حين
ثارات ، فامتلات قلوبهم بالضغائن والأحقاد ، وتنابزوا
بالألقاب ، وتهاثروا بالهجاء والسباب ...

وأصبحت البشرية أحوج ما تكون إلى رسول ينتشلها من
وهدة الضلالة ، ويخرجها من ظلمات الجهالة ، وينير لها
سبيل الحياة الطيبة ، ويصلها بربها عز وجل .

فأرسل الله العليم الحكيم ، خاتم رسله الكرام ، سيدنا محمداً
ﷺ ، وجعل رسالته للناس كافة ، واختاره أن يكون من
العرب ، وهم أمة أمية ، لا معرفة لهم بعلم ، وليسوا أصحاب
كتاب من قبل ، وامتن عليهم ببعثته فيهم ، فقال :

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو
عليهم آياته ويذكّيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ،
وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾^(١) .

وجعل الله تعالى بعثة هذا النبي الكريم إلى الناس جميعاً :
 قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة
 للناس ﴾^(١) ...

فنبينا محمد ﷺ ، خاتم النبيين ، وشريعته خاتمة
 الشرائع ، وهي صالحة لكل زمان ومكان ، وشملت أحكامها
 مصالح العباد إلى قيام الساعة .



شمول الإسلام جميع نواحي الحياة

لم يترك الإسلام جانباً من جوانب الحياة ، من عبادات ومعاملات ، وسياسة واقتصاد ، واجتماع وعمران ، وما يتفرع عن ذلك إلا رسم له المنهاج السليم ، والخطة الرشيدة .

راعى الإسلام جانب الروح ، فشرع لها عبادات تغذيها وتزكيها ، وتصلها ببرها تبارك وتعالى .

وراعى الإسلام جانب الجسد ، فأمر بالعناية به ، ورعاية غذائه وكسائه ، ونظافته وصحته .. ونهى أن يحمل من العبادة ما لا يطيق ، وحرّم كل ما يؤذيه ، من طعام وشراب ، وجرح وقتل ...

ووثق روابط الأسر ، فأوجب برّ الوالدين ، وصلة الأرحام ، وبنى كيان المجتمع على دعائم قوية من الأخلاق الكريمة ، والسيرة المستقيمة ، فندب إلى التحاب والتراحم ، والتعاطف ، والمواساة والإيثار ، والإحسان وإغاثة اللهفان .

وأمر بالصدق والأمانة ، والنصح والاستقامة ...

وأحكم الصلة بين الراعي والرعية ، بما أوجبه من الطاعة في غير معصية ، والشعور بالمسئولية ، والسهر على مصالح الأمة .

وأمر الإسلام بالوفاء بالوعد وحفظ العهد ، حتى مع غير المسلمين ، قال الله تعالى :

﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ، ثم لم ينقصوكم شيئاً ، ولم يظاهروا عليكم أحداً ، فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين ﴾^(١) .

﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، إن الله يحب المتقين ﴾^(٢) .

وفي سيرة سلف هذه الأمة ، جماعات وأفراداً ، وولاية

(١) - ٤ - التوبة .

(٢) - ٧ - التوبة .

ورعايا... أمثال رائعة ، وصفات مشرقة ، تشهد لهم أنهم كانوا المثل الأعلى في ذلك كله .

فالمسلم الحق يتحلى بفضائل الإسلام كلها ، بلا إفراط ولا تفريط ، فلا يوغل في جانب ، ويهمل في جانب .

ولا ينصرف إلى جانب روحي مهملاً جانب الجسد ، ولا العكس .

ولا يلزم المسجد أو العبادة مثلاً ، تاركاً جانب العمل والحياة ، من كسب رزق ، في صناعة أو تجارة أو زراعة أو إجارة ، أو نحو ذلك ، مما تقوم به الحياة الاجتماعية على أكل وجه وأحسن حال .

فالمسلم الحق ابن دنيا وابن دين .

متعبداً بالليل ، فارس بالنهار .

زاهد في الدنيا بقلبه ، عامل لها بقلبه .

لا تشغله دنيا عن دين ، ولا روح عن جسد ، ولا عمل

فردى عن عمل جماعي ، يعود على المجتمع بخير . وقس على

ذلك سائر جوانب الحياة .

الإسلام دين العلم والعمل

خلق الله الإنسان لا يعلم شيئاً ..

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾^(١) .

وامتنَّ الله على الإنسان بما علّمه ، فقال :

﴿ علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾^(٢) .

﴿ خلقَ الإنسان * علّمه البيان ﴾^(٣) .

ورغّب الإسلام بالعلم ، فقال عز وجل :

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون ﴾^(٤) .

﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾^(٥) .

(٢) العلق .

(٤) الزمر .

(١) النحل .

(٣) ٤،٣ - الرحمن .

(٥) فاطر .

وفي الحديث الشريف : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » (١) .

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع » (٢) .

ورغب الإسلام بعد هذا في نشر العلم .
ففي الحديث الشريف : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٣) .

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٤) .

وهذا حض الإسلام المسلمين على أن يحملوا لواء العلم على مرّ العصور والدهور ، يعلمون العالم - ولا سيما في جاهليته الأخرى - سنن الهدى ويهدونه إلى سواء الصراط .

(٢) أبو داود وغيره .

(٤) مسلم وغيره .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) البخاري .

من آداب العالم والمتعلم :

ومن أعظم آداب العلم ، أن يعمل العالم بعلمه ليكون قدوة صالحة للناس ، وأن يخلص لله تعالى في عمله .

قال الله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون ﴾^(١)

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾^(٢) .

وفي الحديث الشريف : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً - أي مالاً - من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة - أي ريحها - يوم القيامة »^(٣) .

(٢) ٣،٢ - الصف .

(١) ٤٤ البقرة .

(٣) أبو داود .

أقسام العلم :

والعلم يكون فرض عين ، ويكون فرض كفاية :

ففرض العين هو ما وجب علمه على كل مكلف بعينه .

ومنه معرفة العقيدة الصحيحة ، وما يجب الإيمان به ،
ومعرفة ما يجب فعله من الفرائض والعبادات ، وما يجب
تركه من المناهي والآثام .

وفرض الكفاية هو ما إذا قام به بعض المكلفين سقط
وجوبه عن الباقين .

ومنه ما ترتبط به مصالح الدنيا ، كالحساب ، والهندسة ،
والطب ، واللغة ، والكتابة ، والكياء ، والفلك ، وسائر علوم
الطبيعة ، وأصول الصناعات كالزراعة والحياكة والخياطة
والحدادة والنجارة ، وضع الأسلحة ، ومعرفة فنون القتال .

فالإسلام دين العلم والعمل ، ودين سعادة الدنيا
والآخرة .

الإسلام دين المدنية الحقة

الإسلام دين يرافق العقل جنباً إلى جنب ، ويمشي مع المدنية في طريق واحد ، وقد نهض بالإنسانية من حضيض الهوان إلى أوج العزة والشرف ، وأخذ بيد الضعيف حتى أتقده من الظلم والعسف .

فتساوى الناس في جميع الحقوق ، فلا فرق بين ضعيف وقوي ، وفقير وغني ، إلا بما منحه الله تعالى من ذكاء الفطرة والعلم ، والتقوى ، والعمل الصالح .

قال الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾^(١) .

وفي الحديث الشريف : « يا أيها الناس ! إن ربكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، - وإن أباكم واحد - إلا بالتقوى ﴾ إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. ﴾^(٢)

(١) ١٣ - الحجرات .

(٢) رواه البيهقي .

وقد جاء أسامة بن زيد رضي الله عنه إلى النبي ﷺ ،
وهو من أحب الصحابة إليه ، يشفع في امرأة شريفة
سُرقت ، ليسقط عنها حد السرقة ، فعضب النبي ﷺ ،
وقال له :

« أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟!
والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطعت
يدها » (١) .

وخطب الخليفة الأول ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه ،
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن
أحسنتم فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت
الله فيكم ، فإن عصيته ، فلا طاعة لي عليكم .
الآن أقوام عندي الضعيف ، حتى أخذ الحق له ،
وأضعفكم عندي القوي ، حتى أخذ الحق منه ... »

قال أبو بكر رضي الله عنه هذا القول ، لتأثير مكارم هذا

(١) البخاري ومسلم .

الدين فيه ، واستيلائها على نفسه ، لأنه دين يأمر بالعدل ، وكل ما فيه السعادة في الدارين .

والإسلام هو الدين الذي خلّص الناس من عقيدة الشرك وكثرة الأرباب ، وأنقذهم من الخرافات المضللة ، ومن فساد الأخلاق ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور؛ فتهذبت نفوسهم ، وحسنت أخلاقهم ، ونما في قلوبهم حب الرأفة والرحمة .

والإسلام الحنيف روح المدنية الحقة في كل زمان ومكان ، ودين مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال .

لجأ بعض المسلمين الأولين إلى ملك الحبشة ، يطلبون منه الحماية من أذى قريش ، إذ كانت تعتدي على النبي ﷺ وأتباعه ، فقالوا له :

« أيها الملك : كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، كما بعث الرسل إلى من قبلنا ،

وذلك الرسول منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفاقه ؛
 فدعانا إلى الله لتعبده ونوحده ، وتترك ما كان يعبد آباؤنا
 من دونه من الأبحار والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ،
 وأداء الأمانة ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والكف عن
 المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل
 مال اليتيم ، وقذف المحصنات ...

فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به « ...

وقد جاءت آيات كثيرة ، وأحاديث وفيرة ، حاثّة على
 مكارم الأخلاق ، وعلى الخلال الكريمة ، والشائيل الفاضلة :

قال الله تعالى :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي
 القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ،
 يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (١) .

﴿ قل : تعالوا أتلق ما حرّم ربكم عليكم ، ألا

تشرکوا به شیئاً ، وبالوالدین إحساناً ، ولا تقتلوا
 أولادکم من إملاق ﴿ - أي من فقر- ﴿ نحن نرزقکم ،
 وإیاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما
 بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ،
 ذلكم وصامکم به لعلکم تعقلون ﴿ ^(١) .

﴿ ولا تقربوا مال الیتیم إلا بالتي هي
 أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان
 بالقسط ، لا نکلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم
 فاعدلوا ، ولو كان ذا قربي ، وبعهد الله
 أوفوا ، ذلكم وصامکم به لعلکم تذكرون ﴿ ^(٢) .

﴿ يا أيها الذین آمنوا ، إنما الخمر والميسر
 والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ،
 فاجتنبوه لعلکم تفلحون ﴿ ^(٣) .
 ﴿ ولا تصغر خدک للناس ﴿ أي : لا تملأه کبراً -

(١) ١٥١ - الأنعام .

(٢) ١٥٢ - الأنعام .

(٣) ٩٠ المائدة .

﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ ^(١) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا يسخر قوم من قوم ، عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء ، عسى أن يكنّ خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ أي: لا يعب بعضكم على بعض ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن ، إثم ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أوجب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ ^(٢) .

﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتتي هي أحسن ﴾ ^(٣) ...

(١) - ١٨ - لقمان .

(٢) - ١٢، ١١ - الحجرات .

(٣) - ١٢٥ - النحل .

﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾^(١) .

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً * وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾^(٢) .

ومن الأحاديث الشريفة قوله ﷺ :

« إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم »^(٣) .

« ليس الشديد بالصرعة - المصارع الذي يغلب - إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »^(٤) .

« إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً .

وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى

(١) ٢٤ - فصلت .

(٢) ٦٣ - الفرقان .

(٣) مسلم .

(٤) البخاري ومسلم .

النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (١) .
 « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٢) ...

« قل : آمنت بالله ، ثم استقم » (٣) .
 « كلُّ سَلَامَى من الناس عليه صدقة كلُّ يوم تطلع فيه الشمس :

تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » (٤) .

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم » (٥) .

« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم

(٢) مسلم .

(٤) البخاري ومسلم .

(١) البخاري ومسلم

(٣) مسلم .

(٥) الترمذي .

القائم»^(١) ...

وهذا قليل من كثير مما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في الحث على مكارم الأخلاق ، ومن قرأ القرآن بتدبر ، ونظر في السنة بتوسّع ، رأى الكثير العجيب ، مما لا يدخل تحت حصر ، من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخصال والأعمال !

☆ ☆ ☆

(١) رواه أبو داود .

1.

2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200.

201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300.

301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400.

العبادة في الإسلام

من أسرار العبادات وآثارها :

الأصل في العبادات التي أمرنا الله تعالى بها ، أن نؤديها امتثالاً لأمره تبارك وتعالى ، وأداءً لحقه علينا سبحانه ، وشكراً له على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

وليس من اللازم أن يكون لهذه العبادات ثمرات ومنافع في حياة الإنسان المادية .

وليس من الضروري أن يكون لها حكمة ، يدركها عقل الإنسان المحدود .

فالعبد عبد ، والربّ ربّ ، وما أسعد الإنسان إذا عرف قدر نفسه !

ولو كان الإنسان لا يتعبد لله ، إلا بما وافق عليه عقله المحدود ، وعرف الحكمة فيه تفصيلاً ، فإذا عجز عن إدراك السر في جزئية أو أكثر ، أعرض عن العبادة ، ونأى بجانبه

عنها ... لكان في هذه الحال عبْد عقله وهواه ، لا عبْد ربه ومولاه .

وحسب المرء أن يعلم على وجه الإجمال أن الله تعالى غني عن العالمين ، غني عن عباداتهم وطاعاتهم ، فلا تنفعه طاعة من أطاع ، ولا معصية من عصى :

﴿ ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد ﴾ (١) .

فالله تعالى غني عن عباده كل الغنى ، وإذا تعبدتم بشيء ، فإنما يتعبدتم بما يصلح أنفسهم ، ويعود عليهم بالخير في حياتهم الروحية والمادية ، الفردية والاجتماعية ، الدنيوية والأخروية ، غير أن الإنسان المحدود قد تخفى عليه حكمة الله عز وجل .

وكم لله من سرّ خفيّ
يَدِقُّ معناه عن فهم الذكيّ !

وكما أخفى الله تعالى - بحكمته - كثيراً من أسرار هذا الكون عن الإنسان ، أخفى عنه بعض أسرار ما شرع ، ليظل الإنسان متطلعاً بأشواقه وراء المجهول ، آملاً في الوصول ، معترفاً بالقصور ... وليظل دائماً في دائرة العبودية المؤمنة ، التي شعارها دائماً :

﴿ سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾^(١) .

إن العبادات لصحة قلب الإنسان ، كالأدوية لصحة بدنه ، وليس كل إنسان يعرف خواص الدواء ، وسر تركيبه ، إلا الطبيب ، أو العالم الذي اختص بمعرفته . وكل مريض يقلد الطبيب فيما يصف له من دواء ، ولا يناقشه فيه .

وكما أن اختلاف الأدوية في المقدار ، والوزن ، والنوع ، لا يخلو من سر ، هو من قبيل الخواص ، فكذلك العبادات ،

(١) ٢٨٥ - البقرة .

التي هي أدوية داء القلوب ، مركبة من أفعال مختلفة في النوع والمقدار ، حتى إن السجود ضعف الركوع ، وصلاة الصبح نصف صلاة الظهر في المقدار ، ولا يخلو ذلك من سر من الأسرار . وقد تحامق وتجاهل جداً من أراد أن يستنبط لها حكمة ، أو ظن أنها ذكرت على المصادفة والاتفاق ، لا من سر إلهي فيها .

فالعبادات شعائر توقيفية ، تؤخذ بأوضاعها وأشكالها ، ولا يتجه الاعتراض إلى وضع من أوضاعها ، إلا أمكن أن يتجه إلى الوضع الآخر ، لو استبدل منها ما اقترحه المقترح ، بما جرى عليه العمل ، وقامت عليه الفريضة من نشأتها .

لماذا يكون الصوم شهراً مثلاً ، ولا يكون ثلاثة أسابيع أو

خمسة ؟

لماذا تكون حصة الزكاة جزءاً من عشرة أجزاء ، ولا

تكون جزءاً من تسعة ، أو من ثلاثة عشر ؟

لماذا نركع ونسجد ، ولا نصلي قياماً ، أو قياماً وركوعاً

بغير سجود ، أو قياماً وسجوداً من غير ركوع ؟

من اعترض بأمثال هذه الاعتراضات ، فليس ما يمنعه أن يعود إلى الاعتراض لو فرض الصوم ثلاثة أسابيع ، أو فرضت الزكاة فوق مقدارها ، أو دون هذا المقدار ، أو فرضت الصلاة على وضع غير وضعها التي هي عليه .

وقد ضل قوم حاولوا أن يفهموا الحكمة في كل جزئية من جزئيات العبادة ، فلما خفيت عليهم في بعض العبادات كاللحج ، شكوا وشكّكوا ، وهم في شكهم وتشكيكهم ضالون عن سواء السبيل .



الصَّلَاة

عني الإسلام في أمر الصلاة ، وشدد كل التشديد في طلبها ، وعظم أعظم التحذير من تركها أو تأخيرها عن أوقاتها ، فهي عمود الدين ، ومفتاح الجنة ، وخير الأعمال ، وأول ما يحاسب عليه المرء المؤمن يوم القيامة .

يذكرها القرآن الكريم في دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعاء ﴾ ^(١) .

ويعدح بها إسماعيل عليه الصلاة والسلام :

﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وكان عند ربه مرضياً ﴾ ^(٢) .

(١) - ٤٠ - إبراهيم .

(٢) - ٥٥ - مريم .

ويأمر الله تعالى كليمه موسى عليه الصلاة والسلام بإقامتها
أول ما يأمره به في ساعات الوحي الإلهي :

﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * إنني أنا الله لا
إله إلا أنا ، فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾^(١) .

ويوحى إليه وإلى أخيه هارون عليها الصلاة والسلام :

﴿ أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً ، واجعلوا بيوتكم
قبلة ، وأقيموا الصلاة ... ﴾^(٢)

وفي وصية لقمان عليه السلام لابنه قوله :

﴿ يا بُنَيَّ أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر
واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم
الأمور ﴾^(٣) .

وينطق المسيح عليه الصلاة والسلام ، وهو في مهده :

﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ﴾^(٤) .

(٢) ٨٧ - يونس .

(٤) ٣١ - مريم .

(١) ١٤ - طه .

(٣) ١٧ - لقمان .

ويأمر بها خاتم أنبيائه عليه أفضل الصلاة والسلام :
﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب ، وأقم الصلاة ﴾ ^(١) ...

ويجعلها صفة جوهرية من صفات المتقين ، تتلو الإيمان
بالغيب :

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين *
الذين يؤمنون بالغيب ، ويسيرون الصلاة ، وما
رزقناهم ينفقون ﴾ ^(٢) .

ويبدأ بها ويختتم أوصاف المؤمنين المفلحين :

﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم
خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم
للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا
على أزواجهم أو ما ملكت أيمنهم * فإنهم غير

(١) - ٤٥ - العنكبوت .

(٢) - ٣،٢ - البقرة .

ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون *
والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على
صلواتهم يحافظون ﴿^(١)

ويؤكد عليها في الحضر والسفر، والأمن والخوف، والسلم
والحرب :

﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ،
وقوموا لله قانتين * فإن خفتم فرجالاً أو
ركباناً ... ﴾ ^(٢)

أي : فصلوا في حال الخوف والحرب مشاةً أو راكبين ،
كيف استطعتم ، بغير ركوع ولا سجود ، ولو بالإشارة
والإيماء ، وبدون استقبال قبلة ، إذا عجزتم عن شيء من
ذلك :

﴿ والله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه
الله ... ﴾ ^(٣)

(١) ١ - ٩ المؤمنون . (٢) ٢٣٨، ٢٣٩ - البقرة .

(٣) ١١٥ البقرة .

وينذر بالويل والهلاك من يسهو عنها حتى يضيع وقتها :

﴿ فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾^(١) .

ويدفع بالذم ، واستحقاق الغي ، خَلَفَ سوء :

﴿ أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيًّا ﴾^(٢) .

ويجعلها الرسول الكريم ﷺ الدليل الأول على التزام عقد الإيمان ، والشعار الفاصل بين المسلم والكافر .

« بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »^(٣) .

وذكر الصلاة يوماً فقال :

« من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم

(١) ٤ ، ٥ - الماعون (٢) ٥٩ - مريم .

(٣) أحمد ومسلم .

القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاته ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ ابن خلف»^(١) .

قال العلماء في توجيه هذا الحديث :
 فمن شغله عن الصلاة ماله ، فهو مع قارون .
 ومن شغله عنها ملكه ، فهو مع فرعون .
 ومن شغله عنها رياسته ووزارته ، فهو مع هامان .
 ومن شغله عنها تجارته ، فهو مع أبيّ بن خلف .
 وفي الحديث الشريف : « من فاتته صلاة ، فكأنما وتر أهله وماله »^(٢) .

أي أصيب في أهله وماله ، وأصبح بعدهم وترأ فرداً .
 فإذا كانت هذه كارثة من فاتته صلاة ، فكيف بمن فاتته الصلوات كلها ؟!

فلا عجب بعد هذه التأكيدات والتشديدات من نصوص

(١) أحمد وابن حبان .

(٢) رواه ابن حبان .

القرآن والسنة ، أن ذهب جماعة من أئمة الإسلام إلى أن تارك الصلاة كافر ، خارج عن ملة الإسلام .

تلك هي مكانة الصلاة في الإسلام ، وهذه المكانة كانت أول عبادة فرضت على المسلمين .

فقد فرضت في مكة قبل الهجرة بسنتين تقريباً .

وكانت طريقة فرضيتها دليلاً آخر على عناية الله تعالى بها ، إذ فرضت ليلة الإسراء والمعراج ، بخطاب مباشر من رب العالمين تبارك وتعالى إلى خاتم النبيين ﷺ .

الصلاة المطلوبة

والصلاة التي يريدتها الإسلام ، ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان ، وحركات تؤديها الجوارح ، بلا تدبر من عقل ، ولا خشوع من قلب ، أو تلك التي ينقرها صاحبها نقر الديك ... كلا ، فالصلاة المطلوبة المقبولة ، هي التي تأخذ حقها من التأمل والخشية ، واستحضار عظمة المعبود جل جلاله .

ذلك أن القصد الأول من الصلاة - بل من العبادات كلها - تذكير الإنسان بربه عز وجل .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لَذِكْرِي ﴾ ^(١) .

وفي الحديث الشريف :

« إنما فرضت الصلاة ، وأمر بالحج ، وأشعرت المناسك ، لإقامة ذكر الله تعالى » ^(٢)

(١) ١٤ - طه .

(٢) رواه أبو داود .

« إنما الصلاة تَمَسْكُنَّ ودعاء وتضرع ، وتضع يديك
فتقول :

(اللهم اللهم) فمن لم يفعل فهي خِـدَاجٌ ^(١) - أي
ناقصة - .

فهذا تنبيه على أهمية حضور القلب في الصلاة .

وأما حضور العقل ، فحسبنا قوله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ
سَكَرَى ، حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ^(٢) .

فنبّه بهذا التعليل ، على وجوب حضور العقل في
الصلاة .

فكم من مصلٍّ لا يعلم ما يقول في صلاته ، وهو لم يشرب
خمرًا ، وإنما أسكره الجهل والغفلة ، وحب الدنيا واتباع
الهوى .

(١) الترمذي والنسائي وغيرهم .

(٢) ٤٣ - النساء .

وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول :
 « ركعتان مقتصدتان في تفكر ، خير من قيام ليلة
 والقلب ساهٍ » .

هذه هي الصلاة التي كانت قرّة عينه ﷺ ، والتي كان
 يحنّ إليها ، ويتلهف عليها ، ويقول لبلال رضي الله عنه :
 « أرحنا بها يا بلال ! »

وشتان بين من يقول : « أرحنا بها » وبين من يقوم
 إليها ، وهو يقول : « أرحنا منها ! »

سر تكرار الصلاة في اليوم

جعل الله تعالى الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، أمرهم
 بإقامتها حين يمسون وحين يصبحون ، وعشياً وحين
 يُظهرون .

أمر بإقامتها خمس مرات في اليوم ، لتغسل عن المسلم
 غفلات قلبه ، وأدران خطاياها .

وقد ذكر النبي ﷺ هذا المعنى في حديثه الشريف

فقال :

« أرايتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، فهل يبقى على بدنه من درنه شيء ؟
قالوا : لا .

قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يحو الله بهن الخطايا»^(١)

وليس أثر الصلوات مقصوراً على هذا الجانب من غسل الأدران ، وتكفير الخطايا ، بل هي مع هذا غذاء روحي عظيم ، لا يغني عنه علم ولا أدب .

فهذه الصلوات الخمس ، هي - وجبات الغذاء اليومي للروح ، كما أن للمعدة وجباتها اليومية .

يناجي المؤمن فيها ربه تبارك وتعالى ، فتكاد تشف روحه ، وتصفو نفسه ، فتسمع كلام الله الذي يقول :
« قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ، ولعبدني ما سأل .

(١) البخاري ومسلم .

- فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين .
- قال الله عز وجل : حمدني عبدي .
- فإذا قال : الرحمن الرحيم .
- قال الله : أثني عليّ عبدي .
- فإذا قال : مالك يوم الدين .
- قال : مجّدي عبدي .
- فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين .
- قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبي ما سأل .
- فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين .
- قال : هذا لعبي ، ولعبي ما سأل «^(١) .

الصلاة ثقافة وتجمّل

والصلاة في الإسلام ليست عبادة روحية فقط ، إنها نظافة وتطهّر ، وتزيّن وتجمّل .

(١) رواه مسلم .

اشترط الإسلام لها طهارة الثوب والبدن والمكان ، من
النجاسات الحسية ، واشترط لها الغسل والوضوء :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا
بِرُءُوسِكُمْ ، وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا
فَاطَّهَرُوا .. ﴾^(١) .

وقد اعتبر الإسلام النظافة من الإيمان .

ففي الحديث الشريف : « تنظفوا فإن الإسلام
نظيف »^(٢) .

« إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة »^(٣) .

وأثنى القرآن الكريم على أهل مسجد قباء ، أو المسجد
النبوي ، لحرصهم على التنظيف والتطهر ، فقال :

(١) ٦ المائة

(٢) ابن حبان .

(٣) الترمذي .

﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ﴾^(١).

وقد استحب الإسلام للمسلم ، أن يتسوك عند كل صلاة .

ففي الحديث الشريف : « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب »^(٢) .

وسنّ له يوم الجمعة أن يغتسل ويتطيب ، ويلبس أحسن الثياب ، ولا يمضي إلى المسجد في ثياب مهنته .

الصلاة رياضة بدنية

والصلاة بعد هذا كله تعود على البدن بنفع عظيم ، وتقوي العضلات ، وتسبب اليقظة المبكرة ، والنشاط الذي يستقبل اليوم من قبل طلوع الشمس .

والجسم في الصلاة يعمل قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ،

(١) ١٠٨ - التوبة .

(٢) إجمد وغيره .

واللسان يعمل قارئاً مكبراً ، مسبحاً مهلاً . والعقل يعمل متدبراً متفكراً فيما يتلو أو يتلى عليه من قرآن ، والقلب يعمل مستحضراً رقابة الله تعالى ، وخشيته والشوق إليه .

الصلاة قوة روحية ونفسية

والصلاة الخاشعة التي يريدها الإسلام ، تمد المؤمن بقوة روحية نفسية ، تعينه على مواجهة متاعب الحياة ، ومصائب الدنيا . ولهذا قال الله تعالى :

﴿ استعينوا بالصبر والصلاة ، إن الله مع الصابرين ﴾^(١) .

وكان النبي ﷺ إذا حَزَبَهُ أمر - أي نزلت به شدة - فزع إلى الصلاة^(٢) .

الصلاة قوة خلقية

وفي هذه القوة مدد عظيم لضمير المؤمن ، يقويه على فعل

(١) ١٥٣ - البقرة .

(٢) أحمد وأبو داود .

الخير، وترك الشر، ومجانبة الفحشاء والمنكر، ومقاومة
المجزع عند الشر، والمنع عند الخير، والتغلب على جوانب
الضعف الإنساني .

وفي هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشر
جَزوعاً * وإذا مسه الخير منوعاً * إلا المصلين *
الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾^(١) .

﴿ وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر... ﴾^(٢) .

والفلاح كل الفلاح للمؤمنين : ﴿ الذين هم في صلاتهم
خاشعون ﴾^(٣) .

(١) ١٩ - ٢٣ - المارج .

(٢) ٤٥ - المنكوت .

(٣) ٢ - المؤمنون .

صلاة الجماعة

والإسلام لم يكتفِ من المسلم أن يؤدي الصلاة وحده ، في عزلته عن المجتمع الذي يعيش فيه ، ولكنه دعاه دعوة قوية ، إلى أدائها في جماعة ، وخاصة في المسجد .

وهم الرسول ﷺ أن يحرق على قوم بيوتهم ، لأنهم يتخلفون عن الجماعات .

فإن لم تكن الجماعة واجباً ، فهي أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

من سرّه أن يلقي الله غداً مسلماً ، فليحافظ على الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبينا ﷺ سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، وإنكم لو صليتم في بيوتكم ، كما يصلي هذا المتخلف في بيته ، لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها - أي عن

صلاة الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل
يؤتى به يُهادى - أي : يتأيل بين الرجلين ، حتى يُقام في
الصف^(١) .

الأذان

ولم يجعل الإسلام الإعلام بدخول وقت الصلاة عن
طريق ناقوس يَدَقُّ ، ولا بوق ينفخ ، ولا نار تشعل ... كما
في ديانات سابقة ، وإنما اختار لها طريقة إلقاءه ، ووضوح
معانيه ، ذلك هو الأذان :

الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر .
أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله .
أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله .
حيّ على الصلاة ، حيّ على الصلاة .
حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح .
الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

(١) مسلم .

تطلق بهذا الأذان الكريم في وقت واحد ، حناجر المؤذنين من فوق مآذهم ، فيستجيب المؤمنون للنداء ، ويجتمعون خمس مرات في كل يوم ، في مساجد أحيائهم .

الجماعة في الصلاة والعيدين

ثم يجمعون على نطاق واسع في صلاة الجمعة ، تلك الفريضة الأسبوعية ، التي أوجب الله تعالى فيها الجماعة إيجاباً ، فقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾^(١) .

ولم يبح التخلف عنها لغير عذر ، ففي الحديث الشريف :

(١) - الجمعة .

« من ترك ثلاث جُمَع تهاوناً بها ، طبع الله علي قلبه » ^(١) .

« لينتهين قوم عن وُدعهم - أي تركهم - الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » ^(٢) .

وفي هذا الاجتماع الأسبوعي ، تعليم وتوجيه ، وموعظة وتذكير ، وإحياء لعاطفة الأخوة ، وتوثيق لروابط المحبة ، وإظهار للقوة .

ثم يتسع النطاق أكثر في صلاة العيدين ، فقد أراد الإسلام من هذه الصلاة ، أن تكون مؤتمراً جامعاً ، يذهب إليها النساء والرجال ، حتى ذوات الأعذار منهن ، حين كانت تؤدي في العراء ، لا في المساجد ، ويذكر بعدها الإمام المسلمين ، بما يحفظ عليهم دينهم ، ويحرك فيهم معاني الشكر لله تبارك وتعالى ، على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى .

(١) رواه الخمسة .

(٢) مسلم .

الصلاة تربية عسكرية

وفي صلاة الجماعة نوع من التربية العسكرية التي قوامها الطاعة والنظام .

وهل رأيت نظاماً أكمل وأجل من صفوف الجماعة ، وقد وقفت مستقيمة فلا عوج ، متلاصقة فلا فُرَج ، المنكب إلى المنكب ، والقدم إلى القدم ؟

فإذا كَبَّرَ الإمام كَبَّرُوا ، وإذا قرأ أنصتوا ، وإذا ركع ركعوا ، وإذا سجد سجدوا ، وإذا سَلَّمَ سلّموا .

من خرج على هذا النظام فكأنما خرج على الإنسانية ، وانحط إلى مستوى الحيوانية .

ففي الحديث الشريف : « ألا يخشى إذا ركع أحدكم ، أو سجد قبل الإمام أن يمسح الله رأسه رأس حمار »^(١)

لا يفسد هذا النظام إلا جندي من جنود الشيطان ، فهو

(١) البخاري ومسلم .

الذي تسره الفوضى ، ويسوءه النظام .

« الذي يركع ويسجد قبل الإمام ، إنما ناصيته بيد الشيطان » (١) .

المسجد ومكانته

وبأداء صلاة الجماعة في المسجد خمس مرات في اليوم ، أصبح للمسجد مكانة هامة في الإسلام ، وفي حياة المسلمين .

ففي المساجد بيوت الله يتعلم المسلمون قواعد العقائد ، وفرائض العبادات ، ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الآداب ، وأحكام المعاملات ، وتُعقد فيها للعلم حلقات ، تغشاها الرحمة ، وتنزل عليها السكينة ، وتحفها الملائكة .

وفي المسجد يلقي الخلفاء المسلمون خطاباتهم ، ويعلنون مناهج سياستهم ، ويتبادلون المشورة والرأي مع رعاياهم ، بلا حَجْر ولا خوف .

(١) البزار والطبراني .

ولقد عرف أسلافنا رضي الله عنهم قيمة المسجد ، فكانوا
يعقدون فيه عقود زواجهم امتثالاً للأمر النبوي الكريم :
« أعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه في المساجد ، واضربوا
عليه بالدف »^(١) .

وفي المسجد مظهر من مظاهر المساواة الرائعة ، إذ يقف
في صلاة الجماعة الأمير إلى جانب الفقير ، والغني في جوار
المسكين ، والسيد في محاذة الخادم .

فليس للمسجد لائحة تخصص الصف الأول للوزراء ،
والصف الثاني للنواب ، والثالث للمديرين ، أو موظفي
الدرجة الأولى... وإنما الجميع سواسية كأسنان المشط ، فمن
بكر في الذهاب إلى المسجد ، احتل مكانه في مقدمته ، أياً
كانت منزلته ، وأياً كان عمله في الناس .

(١) رواه الترمذي .

مسجد الرسول ﷺ في المدينة

عرف الرسول ﷺ أهمية المسجد في الحياة الإسلامية ، فكان أول مشروع فكر فيه في إقامته القليلة في قباء ، وهو في طريقه إلى المدينة أن بنى مسجد قباء .

وبعد أن استقر في المدينة بنى فيها مسجده العظيم ، وكان يعمل فيه بيده ، ويحمل الأحجار بنفسه .

وفي هذا المسجد الشريف : تعلم المسلمون الأولون أحكام الإسلام ، وتلقوا كتاب ربهم عز وجل .

ومن هذا المسجد الشريف ، انطلقت جيوش المسلمين ، تحمل لواء الإسلام إلى سائر بقاع الأرض ، وتعلم عبادة الله شريعة الله .



الزكاة

ومن محاسن الإسلام : ما شرعه من الزكاة .

والزكاة في الإسلام : هي العبادة المالية الاجتماعية الهامة .

وهي الفريضة الثانية بعد الصلاة ، وقد قرِن ذكرها
بالصلاة في عشرات المواضع من القرآن الكريم .

قال الله تعالى في معرض الثناء على المتقين :

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ،
وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفِقُونَ ﴾^(١) .

والزكاة ركن من أركان الإسلام ، ودعامة من دعامة الإيمان ،
وإتائها عنوان على الدخول في الإسلام .

قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾^(٢) ...

(١) - البقرة .

(٢) - التوبة .

وقال أبو بكر رضي الله عنه حين جهز الجيش لقتال
 مانعي الزكاة :
 (والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة ، والله لو
 منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم
 عليه) .

الزكاة حقّ لا تفضّل

والزكاة ليست تفضلاً وإحساناً من إنسان لآخر وإنما هي
 حق معلوم ، وفريضة لا منّة فيها .

من حكمة الزكاة

تطهير نفس الغني من داء الشح :
 قال تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم
 المفلحون ﴾ ^(١) .

وتطهير نفس الفقير من الحسد والبغضاء :

(١) - الحشر .

فمن شأن الإحسان أن يستميل قلب الإنسان ، كما أن شأن
الحرمان في جانب والتنعم في جانب ، أن يملأ قلوب المحرومين
بالبغضاء والأضغان .

وتطهير للمال من الشر :

ففي الحديث الشريف : « إذا أديت زكاة مالك فقد
أذهبت عنك شره »^(١) .

« حصّنوا أموالكم بالزكاة »^(٢) .

والزكاة ضمان اجتماعي ، لأن الإسلام يأبى أن يكون في
مجتمعه من لا يجد القوت الذي يكفيه ، والشوب الذي
يواريه ، والبيت الذي يؤويه ... فهذه ضرورات يجب أن
تتوافر لكل من يعيش في ظل الإسلام الرحيم .

والمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضرورات وما فوقها من
جهده وكسبه ، فإن لم يستطع فالمجتمع يكفله ويضمنه .

(١) رواه الحاكم .

(٢) أبو داود .

والزكاة مورد أساسي لهذه الكفالة الاجتماعية ، التي فرضها الإسلام للفقراء والمساكين ..

والزكاة أمضى سلاح لمحاربة كنز الأموال ، وإخراج النقود من مخابئها فإلما المحبوء تأكله الزكاة .

الإنفاق المستحب

ولقد حضّ الإسلام - بعد فريضة الزكاة - على السخاء والجدود والإنفاق .

قال الله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعفه له وله ، أجرٌ كريم ﴾ ^(١) .

وفي الحديث الشريف :

« ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً . ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » ^(٢) .

(١) - ١١ - الحديد .

(٢) مسلم .

« يقول العبد : مالي ، مالي ، وإنما له من ماله ثلاث :
ما أكل فأقنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأقنى .

- أي ادخره عند الله تعالى - وما سوى ذلك فهو ذاهب
وتاركة للناس «^(١) .

لهذا جاد المسلمون الأولون بالمال ، وفاضت أيديهم
بالخير ، ومن قرأ سيرهم ، وعرف سخاءهم رأى العَجَب
العجاب !

☆ . ☆ ☆

(١) مسلم .

الصيام

ومن محاسن الإسلام ، ما شرعه من فريضة الصيام .

شهر الصيام المفروض

اختار الله تعالى لهذا الصيام الذي شرعه شهراً مباركاً كريماً ، له في نفوس المسلمين مكان كريم .

وجعل شهره - وهو رمضان - شهر الصيام وشهر القرآن .
ففيه نزل أول ما نزل من القرآن الكريم :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾^(١) .

قال الله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيامٍ أُخر ، يريد الله بكم اليسر

(١) أول سورة العلق .

ولا يريد بكم العسر ﴿^(١)﴾ ...

من حكمة الصوم

- الصيام تحرير للإنسان من رق غرائزه وشهواته .
- الصيام تقوية للإرادة ، وتربية على الصبر :
- فالصائم يجوع ، وأمامه الطعام الشهي .
- ويعطش ، وأمامه الماء البارد العذب .
- ويعفّ وإلى جانبه زوجته .

لا رقيب عليه في ذلك إلا ربه ، ولا يعينه على ذلك إلا إرادته وصبره .

والصيام يعرّف الإنسان قدر نعم الله عليه .
فإنسان إذا تكررت عليه النعم ، قلّ شعوره بها .
فإذا ذاق حرارة العطش ، ومرارة الجوع ، عرف نعمة الله عليه في المأكل والمشرب .

والصيام تذكير للغني للجوع الفقراء ، وبؤس البائسين ،

فريقاً لهم ، ويعطف عليهم ، وتمتد يده إليهم بالعطاء
والمواساة .

وفي الصيام تمام التسليم لله ، وكال العبودية لرب
العالمين .

فالصائم يجوع ويعطش ، وأسباب الغذاء والري أمامه
ميسرة ، لولا حب الله تعالى ، والرغبة في رضاه .

ولهذا جاء في الحديث القدسي :

« كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به ،
يدع شهوته وطعامه من أجلي »^(١) ..

وفي الصيام تقوية للبدن ، وشفاء له من كثير من
الأمراض .

وفي الصوم راحة للمعدة من عناء الهضم ، وتخليص للجسم
من فضلاته الضارة .

(١) رواه مسلم .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول :
 « صوموا تصحّوا »^(١) .

ذلك هو الصوم في الإسلام ، لم يشره الله تعالى تعذيباً
 للبشر ، ولا انتقاماً منهم ، وإنما شرعه إيقاظاً لأرواحهم ،
 وتصحيحاً لأجسادهم ، وتقوية لإرادتهم ، وتعويداً لهم على
 الصبر ، وتعريفاً لهم بالنعمة ، وترية لمشاعر الرحمة فيهم ،
 وتدريباً لهم على كمال التسليم لله رب العالمين .



(١) الطبراني .

مقارنة بين السلف والخلف

تلك حكم يجب أن نرعاها حق رعايتها ، وأن نضعها نُصَب أعيننا ، حتى يكون صومنا صوماً مقبولاً مرضياً عند الله تعالى .

لقد جنى أسلافنا ثمار الصوم : كان نهارهم نشاطاً ، وإنتاجاً وإتقاناً ، وكان ليلهم تزاوراً وتهجداً وقرآناً . وكان شهرهم كله تعلماً وتعبداً وإحساناً ، ألسنتهم صائتة فلا تلغوا برفث أو جهل ، وآذانهم صائتة فلا تسمع إلى الحرام ، وعيونهم صائتة ، فلا تنظر إلى حرام أو فحش ، وقلوبهم صائتة فلا تعزم على خطيئة أو إثم ، وأيديهم صائتة فلا تمتد بسوء أو أذى .

أما المسلمون اليوم فمنهم من اقتدى بأولئك السلف الصالح ، فاتخذوا رمضان موسماً لطاعة الله ، ومضاعفة الخيرات ، صاموا نهاره فأحسنوا الصيام ، وقاموا ليله فأحسنوا القيام ، وشكروا نعمة الله عليهم ، وعطفوا على إخوانهم الضعفاء والمحرومين .

ومنهم من لم ينتفع بـرمضان ، ولم يستفد مما فيه من صيام
وقيام .

جعله الله تعالى للقلب والروح ، فجعلوه للبطن والمعدة .
جعله الله تعالى للحلم والصبر ، فجعلوه للغضب
والطيش .

جعله الله تعالى للسكينة والوقار ، فجعلوه شهر السباب
والشجار .

جعله الله تعالى ليغيروا فيه من صفات أنفسهم ، فما
غيروا إلا مواعيد أكلهم وشربهم وشهواتهم .

جعله الله تعالى تهذيباً للغني الطاعم ، ومواساة للبيئس
المحروم ، فجعلوه معرضاً لفنون الأطعمة والأشربة ، تزداد فيه
تخمة الغني ، بقدر ما تزداد حسرة الفقير .



فعلى المسلمين أن يجاهدوا أنفسهم على مرضاة الله تبارك
وتعالى ، ويجعلوا شهر صيامهم شهر بر وإحسان ، ويستعينوا

بصومهم على تقوى الله عز وجل ، فقد جعل الله تعالى الصيام
عوناً على التقوى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، كتُّبْ عليكم الصيام كما
كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾^(١) .



الحجّ

ومن محاسن الإسلام ما شرعه من فريضة الحج وشعائره .

فالحج هو الفريضة الرابعة في الإسلام .

وهو آخر ما فرض من الشعائر والعبادات التي رسم الله

حدودها ومعالمها .

والحج رحلة كريمة ينتقل فيها المسلم بيدنه وقلبه إلى مكة البلد الأمين ، الذي أقسم الله تعالى به في القرآن الكريم ، للوقوف بعرفة ، والطواف ببيت الله الحرام ، الذي فرض على المسلم ، أن يستقبله كل يوم في صلواته ، ثم فرض عليه أن يتوجه إليه بشخصه ، ويطوف به بنفسه ، في العمر مرة واحدة .

إن الكعبة المعظمة هي أول بيت أقيم في الأرض لعبادة الله تعالى ، وبانيه هو إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، واستجاب الله تعالى دعوتها الخالصة ، وهما يشيدان هذا البناء الكريم :

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١) .

فرض الله الحج إلى هذا البيت العظيم على كل مسلم مستطيع ، وجعل تركه أو الاستخفاف به كفراً :

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (٢) .

(١) ١٢٧ - ١٢٩ - البقرة .

(٢) ٩٧ و٩٦ - آل عمران .

أعمال الحج

والحج يبدأ بالمیقات - وهو المكان المحدد للإحرام - .

والإحرام يتمثل في نية الحج ، والتجرد من الثياب المعتادة التي يُزهي بها الناس ويختالون ، والاختصار على إزار ورداء ، لا فخر فيها لأحد على أحد .

وبعد هذا يرفع الحاج صوته بالتلبية .

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

وكانه بهذه التلبية يستجيب للنداء الإلهي القديم ، الذي أمر الله إبراهيم الخليل ، أن يؤذن به في الناس :
﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ، أن لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ .

﴿ وأذن في الناس بالحج ، يأتيوك رجالاً وعلى كل

ضامر ، يأتين من كل فج عميق ﴿^(١) .

وأهم أعمال الحج بعد الإحرام : الطواف بالكعبة ،
والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة بعد زوال اليوم
التاسع من ذي الحجة ، والإفاضة إلى مزدلفة ، والوقوف
فيها ، والصدفح إلى منى يوم النحر ، ورمي جرة العقبة ،
والحلق أو التقصير .

من أسرار المناسك

ليس الإحرام في حقيقته - وهو أول المناسك - إلا التجرد
من شهوات النفس والهوى ، وحبسها عن كل ما سوى الله عز
وجل ، وعلى التفكير في عظمته وجلاله .

وما التلبية إلا شهادة على النفس بهذا التجرد ، وبالالتزام
الطاعة والامتثال .

وما الطواف بعد التجرد ، إلا طواف القلب بحضرة الله
عز وجل .

(١) ٢٧، ٢٦ - الحج .

وما السعي بعد هذا الطواف ، إلا التردد بين موضعين من مواضع الرحمة الإلهية ، طلباً للمغفرة والرضوان .

وما الوقوف بعرفة بعد السعي ، إلا بذل المهج في الضراعة إلى الله تبارك وتعالى بقلوب مملوءة بالخشية ، وأيدي مرفوعة بالرجاء ، وألسنة لاهجة بالدعاء ، وآمال صادقة في أرحم الراحمين .

وما الرمي بعد ذلك ، إلا رمز لاحتقار عوامل الشر ، ونزعات الشيطان ، ونزعات الهوى .

وما الذبح - وهو الخاتمة لأكثر أعمال الحج - إلا إراقة للدم الذي أمر الله به أن يراق ، ورمز للتضحية والفداء ، على مشهد من جند الله الأطهار الأبرار .

آثار الحج

الحج أكثر العبادات اشتمالاً على الأمور التعبدية المحضة ، التي لا تعرف حكمتها معرفة تفصيلية .

الحج غذاء روحي كبير ، تمتلئ فيه جوانح المسلم خشية

وتقى الله عز وجل ، وعزماً على طاعته ، وندماً على معصيته ، وتنو فيه عاطفة الحب لله ولرسول الله ، ولمن نصره وعزروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه .

وتوقظ فيها مشاعر الأخوة لأبناء دينه في كل مكان .

ويعود المسلم من رحلته هذه ، أصفى قلباً ، وأقوى عزيمية على الخير ، وأبعد عن مغريات الشر .

ولهذا يعود الحاج من حجه طاهراً تقياً :

« من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »^(١) .

والحج تدريب على ركوب المشقات ، ومفارقة الأهل والوطن ، والتضحية بالراحة والدعة في الحياة الرتيبة بين الأهل والأصحاب .

وقد جعل الله تعالى الحج دائراً مع السنة القمرية ، فأشهر الحج تبدأ بشوال ، وتنتهي بذى الحجة ، وهي أشهر

(١) البخاري وأحمد والنسائي .

تأتي أحياناً في وقدة الصيف ، وأحياناً في زمهرير الشتاء ،
ليكون المسلم على استعدادلتحمل كل الأجواء ، والصبر على
كل ألوان الصعوبات .

والحج من الجانب المادي فرصة عظيمة لتبادل المنافع
التجارية على نطاق واسع بين المسلمين .

والحج تدريب للمسلم على المبادئ الإنسانية العليا التي
جاء بها الإسلام ، ففي وحدة مظهر الحجاج في إحرامهم معنى
المساواة في أجلى صورها وأتمها .

وفي الحج نرى معنى الوحدة الإسلامية جلياً كالشمس
فشعور المسلمين فيه واحد ، وشعائرهم واحدة لا إقليمية ولا
عنصرية ، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة ، فكلهم
مسلمون ، يؤمنون برب واحد ، ويطوفون ببيت واحد .

والحج مظهر من مظاهر السلام ، فأرض الحج هي البلد
الحرام ، والبيت الحرام ، الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً :

﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾^(١) .

وهو الذي قال فيه عمر رضي الله عنه :
(لو وجدت فيه قاتل أبي ما مسّته يدي) .

إنها منطقة أمان ، شمل الطير في الجو ، والصيد في البر ،
والنبات في الأرض ، فهذه المنطقة لا يصاد صيدها ، ولا
يرقّع طيرها ، ولا حيوانها ، ولا يقطع شجرها ولا
حشائشها .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم
حرم ... ﴾

﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً ﴾^(٢) .

والحج مؤتمر إسلامي عظيم .
فهناك يجد المسلم إخواناً له في الدين ، من قارات الدنيا
الخمسة ، اختلفت أقاليمهم وألوانهم ولغاتهم ، وجمعتهم رابطة

(١) ٩٧ - آل عمران .

الإيمان والإسلام .

فما أجدد المسلمين أن ينتفعوا في هذا المؤتمر السنوي بما يعود عليهم بخير في أمر دينهم وأمر دنياهم !

زيارة النبي ﷺ

وفي زيارة النبي ﷺ ، ومسجده الشريف ، ذكريات عظيمة تبعث في نفس المسلم القوة والنشاط في خدمة دينه ، والدعوة إليه .

ولئن كانت مكة المكرمة تمثل مهد الإسلام ، فإن المدينة المنورة مجد الإسلام ، وهي أول عاصمة للمسلمين ، انبعثت منها كتائب الحق تدعو إلى الله ، وتجاهد في سبيل الله ، حتى ارتفعت راية الإسلام ، ورفرفت في مشارق الأرض ومغاربها .

وفي ذلك المكان الطاهر روضة من رياض الجنة .

ألهمنا الله تعالى الرشد ، ووقفنا لشكر النعمة العظمى ، التي أتمها علينا يوم عرفة في حجة الوداع ، فقال :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ،
ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(١) .

☆ ☆ ☆

الأعياد في الإسلام

ومن محاسن الإسلام ما شرعه من الأعياد .

عن أنس رضي الله عنه أنه قال :

قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فوجد للأنصار يومين يلعبون فيها .

فقال : « ما هذان اليومان ؟ »

قالوا : يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية .

فقال : « قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما : يوم الأضحى ويوم الفطر »^(١) .

فالعيد في الإسلام ليس الباعث فيه مجرد الترفيه عن النفوس ، أو الرغبة في المرح أو إرواء الشهوات ..

بل هو مظهر شكر الله تعالى ، ورحمة سابغة ، وعطف وحنان .

(١) رواه أبو داود .

فالمسلمون يحتفلون بعيد الفطر شكراً لله تبارك وتعالى ،
الذي أعانهم على أداء فريضة الصوم ، صابرين محتسبين ،
ووقفهم إلى البذل ، راضين مطمئنين ، ففرّجوا عن إخوانهم
الفقراء كثيراً من كُرب الحياة ، فكان لهم من الله تعالى الأجر
العظيم .

فالعيد موعد فرحة المسلمين بهذا التوفيق ، يُقبل بعضهم
على بعض ، يتبادلون التهاني ، ويتساجلون كلمات المودة
والصفاء ، بعد أن أطاعوا الله تعالى ، فصاموا له إيماناً ،
وقاموا تقرباً له وإذعاناً ، فمن الله عليهم بفضله ، وجعله لهم
وقتاً يستريحون فيه من العناء ، وينعمون بالصفاء ، وأباح
لهم حرية المأكل والمشرب بعد أن قيدهم بقيود الصوم شهراً
كاملاً .

فلا يحق للإنسان أن يفرح بالعيد ، إذا لم يعرف أن
حياته ليست ملكاً لهواه ، ولا وفقاً لنزعاته ، وإنما هي للخير
والإحسان ، والعطف على بني الإنسان ، والسير في الطريق
المستقيم ، والشرع الحكيم ، الذي شرعه الله لعباده ، وجعله

لهم نبراساً ، ورضيه لهم ديناً ، فحكهم به ، ولم يتركهم
يحكون أنفسهم بشرائع ابتدعوها ، وأهواء اتبعوها .

إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة بعباده ، فأودع لهم
حكمة في أعياده ، هي أن يجمع قلوبهم على المحبة ، ويؤلفها
على البر والتقوى ، ويعالج فيها غلّ النفوس وأمراضها ،
ويشفي غيظ الصدور وأحقادها ، ويطهرها من الحسد
والطمع ، ويرتفع بها عن زخرف الحياة الدنيا وزينتها ،
ويجعلها خالصة تقية ، لا تعالي فيها ولا كبرياء ، ولا زهوّ
ولا خيلاء .

يعلّمهم أن يبتهجوا في أيام معلومة ، ومواسم معدودة ،
وأن يكون مظهر ابتهاجهم طاعة لله ، وبراً بعباده .

فعيد الفطر مسرة للمسلمين وهناءة ، وبهجة وسعادة ، بما
أنعم الله عليهم من صيام رمضان ، وأداء فريضته ، وإحياء
سنته ، ونشر البر فيه .

وحقّ لمن صدقت في الصيام عزيمته ، وثبت به أجره ،
أن يهنأ بهذا العيد ، ويهنئ به إخوانه الصائمين القائمين ،

الأبرار الغانمين .

وقد ندب الله فيه عباده إلى صدقة الفطر ، لتكون
توسعة على إخوانهم المحتاجين ، ولئلا يبقى بين المؤمنين بائس
محروم .

وأما عيد الأضحى ، فهو صبيحة عرفة ، إذ أدى المسلمون
مناسكهم ، وطافوا بالبيت العتيق ، فآن لهم بعد أداء هذه
الفريضة ، أن يحتفلوا بعيدهم ، ويجمعوا في صلاتهم ، مكبرين
شاكرين .

وشرع الله للمسلمين الأضحية في هذا العيد ، لتكون
مظهراً من مظاهر الشكر لله ، والعطف على الفقراء من عباد
الله .

بهذه المعاني الكريمة تتجلى أعياد المسلمين .

رأى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولداً له يومَ عيد ،
وعليه ثوب خَلَقَ - أى بال - مرقع . فبكى رضي الله عنه .

فقال له ابنه : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

فقال يا بُني ، أخشى أن ينكسر قلبك في هذا اليوم ، إذا
رأك الصبيان بهذا الثوب الخلق .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما ينكسر قلب من أعدمه الله
رضاه ، أو عقّ أمه وأباه ، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى
راضياً عني برضاك .

فبكى عمر رضي الله عنه فرحاً بجوابه ، وضمه إليه ، وقبّل
ما بين عينيه ، ودعا له ، فكان من أزهّد الناس بعده .

ودخل رجل يوم عيد على أمير المؤمنين على بن أبي
طالب كرم الله وجهه ، فوجده يتناول خبزاً فيه خشونة .
فقال يا أمير المؤمنين ، يوم عيد وخبزٌ خشن !

فقال رضي الله عنه : اليوم عيد من قبل بالأمس صيامه
وقيامه ، اليوم لنا عيد ، وغداً لنا عيد ، وكل يوم لا نعصي
الله فيه فهو لنا عيد .

فالعيد في الإسلام عبادة الله ، وشكر الله ، وبرُّ
وإحسان ، ورجاء ورحمة وغفران :

﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ،
هو خير مما يجمعون ﴾^(١) .

☆ ☆ ☆

الإسلام والفضائل

الإسلام دين المراقبة والإحسان

الإسلام يربي المسلمين على مراقبة الله تعالى ، وأن الله تعالى يراهم :

قال الله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم ﴾^(١) .

وفي الحديث الشريف :

« الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »^(٢) ...

فالمؤمن المسلم يراقب الله تعالى في جميع حركاته

(١) - ٧ - المجادلة .

(٢) البخاري ومسلم .

وسكناته ، فلا يكذب ولا يخون ولا يغشّ ، ويتقيه في السر والعلانية .

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم ، فسمع امرأة تقول لابنتها : امزقي الحليب ماء - أي اخلطيه بماء - .

فقال بنت : يا أماه ، ألم ينهنا عمر عن الغش ؟!

فقال الأم : من أين لعمر الآن أن يرانا ؟

فقال بنت : إن كان عمر لا يرانا ، فرب عمر يرانا .

وخرج رضي الله عنه مرة من المدينة يريد الحج ، ومعه أحد الصحابة ، فنزل في الطريق في سفح جبل ليستريح ، فانحدر من الجبل راع معه غنات ، فأراد عمر أن يمتحنه وهو لا يعرفه ، فقال له :

أيها الراعي ، بعني شاة من هذه الشياه .

فقال الراعي : إنها ليست لي .

فقال : قل لصاحبها : أكلها الذئب .

فغضب الراعي وقال : فأين الله ؟!

ففرح عمر بأمانته وأثنى عليه .

وعن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى أنه قال :
استيقظت ليلة على تهجد خالي ، وأنا ابن ثلاث سنين ،
فالتفت إلي وقال : ياسهل ، ألا تذكر ربك ؟

قلت : كيف أقول ؟

قال : قل بقلبك من غير أن تحرك لسانك :

(الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهدي) .

قل ذلك كل ليلة إذا أخذت مضجعك ثلاث مرات .

قال سهل : فواظبت على ذلك مدة ، ثم أمرني بها سبع
مرات ، ثم إحدى عشرة مرة ، وأنا أجد لها حلاوة في قلبي .

فلما ترعرعت قال لي يا سهل ، من كان الله معه وناظراً
إليه ، وشاهده ، هل يعصيه .

قلت : لا

قال : فلتكن منك على بال .

الوحدة الأخوية بين المؤمنين

ومن محاسن الإسلام ما جاء به من تعميم الوحدة الأخوية ، الجامعة بين أفراد هذا الدين الحنيف . وذلك لأن النفوس لا تتم جامعتها ، ولا تعتر إلا إذا كانت القلوب مطمئنة بعضها إلى بعض ، وليس أشرف من رابطة الإسلام بين المسلمين ، وأخوة الإيمان بين المؤمنين ، فهي أقوى من رابطة النسب .

فرابطة البنوة الصلبية لا تصل الإنسان إلا إذا كانت مشفوعة بالبنوة الشرعية ، وهي تنقطع بالكفر : فإذا كفر الولد انقطع عن أبويه ، وإذا كفر الوالدان انقطع عنها الولد فلا يرثانه ولا يرثها ، مع ثبوت البنوة الصلبية في كلتا الحالتين .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١)

وقد أحكم الله تعالى بين المؤمنين هذه الرابطة الأخوية بما

(١) ١٠ - الحجرات .

لا مزيد عليه :

قال الله تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وأزواجه أمهاتهم ﴾^(١) .

فهذا نسب مشروع بحكم إلهي ، لا تنقطع صلته ، ولا
تنفصم عروته ، فقد حكم بينوة المؤمنين لأزواجه الطاهرات
أمهات المؤمنين ، وذلك حق على المؤمنين أن يعتقده ،
ومنكره جاحد .

وقد أيد ذلك قول الرسول ﷺ :
« إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم .. »^(٢)
وقوله ﷺ :
« آل محمد كل تقي »^(٣) .

وأيد ذلك أيضاً ما فعله النبي ﷺ من المؤاخاة بين
المسلمين، بين كل اثنين من المهاجرين، وبين المهاجرين
والأنصار .

(٢) أحمد وأبو داود وغيرهما .

(١) ٦ - الأحزاب .

(٣) الطبراني .

ولما كان التعالي والتكبر بالنسب من أكبر موانع التأخي
بين الأفراد ، قال الله تعالى :

﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ... ﴾^(١)

ثم قصر الله تعالى وجهة الفخر والكرامة ، فقال :
﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاهم ... ﴾^(٢)

وقد أيد الله تعالى ذلك في الآخرة فقال :

﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا
يتساءلون ﴾^(٣)

﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل
بينكم ، والله بما تعملون بصير ﴾^(٤)
وفي الحديث الشريف :

« لِيَنْتَهَبَنَّ أَعْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا ، إِنَّمَا هُمْ
فَحْمُ جَهَنَّمَ ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعَلِ ، الَّذِي
يُدْهِدُهُ الْخِرَاءُ بِأَنْفِهِ - أَيْ يَدْحِرْجُهُ - إِنْ اللَّهُ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبِّيَّةَ

(٣) ١٠١ - المؤمنون .

(١) ، (٢) ١٣ - الحجرات .

(٤) ٣ - المتحنه .

الجاهلية - أي نخوتها - وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقي ،
 وفاجر شقي ، الناس بنو آدم ، وآدم خلق من تراب» (١) .

« ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على
 عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » (٢) .

ومن ذلك ما حدّث به حُصَيْنُ بن عبد الرحمن بن عقبة
 عن أبيه ، وهو مولى فارسي ، حضر مع رسول الله ﷺ غزوة
 أحد ، وضرب رجلاً من المشركين ، وقال :
 « خذها وأنا الغلام الفارسي » يريد أن يعتز بقومه .

فالتفت إليه النبي ﷺ وقال :

« فهلاً قلت : خذها وأنا الغلام الأنصاري » !

يشير بذلك إلى الوحدة الإسلامية ، وينهاه عن الاعتزاز
 بالعصبية والجنسية .

وفي الحديث الشريف : « من قاتل تحت راية عُميّة - أي

(١) رواه أبو داود والترمذي .

(٢) أبو داود .

أمر أعمى لا يستبين وجهه - يفضب لعصبة ، أو يدعو إلى
عصبة ، أو ينصر عصبة ، فقتل ، فقتلَ جاهلية . ومن خرج
عن أمتي ، يضرب برّها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ،
ولا يفى لذي عهدٍ ، فليس مني ، ولست منه «^(١) .

ولتحقيق هذه الأخوة في الظاهر والباطن ، نهى الإسلام
عن التعبير عن العبد والأمة ، ونهى الموالي عن القول : ربي
وربتي .

ففي الحديث الشريف : « لا يقولن أحدكم :
« عبدي وأمّتي » ولا يقولن المملوك : « ربي وربتي »
وليقل المالك : « فتاي وفتاتي ، وليقل المملوك « سيدي
وسيدي » فإنكم المملوكون ، والرب الله «^(٢) .

وهد الإسلام عرا الأخوة حتى بين الموالي والعبيد .

ففي الحديث الشريف : « إخوانكم خولكم - حشمكم

(١) رواه مسلم .

(٢) أبو داود .

وخدمكم - جعلهم الله تحت أيديكم...»^(١)

وجعل للمسلم حرمة يجب عليه أن يربعاها ولا يهتكها .

ففي الحديث الشريف : « كل المسلم على المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه . حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »^(٢) .

« ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضوع تُنتهك فيه حرمة ، ويُنتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته .

وما من مسلم ينصر مسلماً في موضع يُنتقص فيه وينتهك فيه حرمة ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته »^(٣) .

« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يُسلمه - أي لا يترك نصرته - من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم

(٢) الترمذي .

(١) أحمد والبخاري ومسلم .

(٣) أحمد وأبو داود .

القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(١) .
« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢) .

☆ ☆ ☆

(١) البخاري ومسلم .

(٢) البخاري ومسلم .

الإسلام دين المحبة والوئام

ومن محاسن الإسلام ، أنه علم المسلمين أن يعيوا حياة محبة ووئام ، وألفة ووداد ، فأمر بكل ما يؤلف بين القلوب ، ويقوي روابط الألفة والمحبة ، ونهى عن كل ما يفرق بين القلوب ، ويسبب التدابر والتنافر والبغضاء .

وسمى الله تعالى المؤمنين إخوة ، وألف بين قلوبهم برابطة الإيمان .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١) .
 ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِين قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾^(٢) .

وشبهه النبي ﷺ المسلمين في تحابهم وترابطهم بالبنيان المتماسك ، وشبههم في وحدة شعورهم بالجسد الواحد :

ففي الحديث الشريف :

(١) - الحجرات .

(٢) - الأنفال .

« المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه - »^(١) .

« مثَّل المؤمنین فی توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »^(٢) .

ولتحقیق هذه الأخوة بين المسلمين أمر الإسلام بالسلام عند اللقاء ، وبالمصافحة ، والبشاشة .

ففي الحديث الشريف : « والذي نفسي بيدي ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »^(٣) .

« ما من مسلمين يلتقيان ، فيتصافحان ، إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا »^(٤) .

وأمر الإسلام بالرحمة ، وتفريج الكروب ، وقضاء

(٢) البخاري ومسلم .

(٤) أبو داود .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) مسلم .

الحوائج :

ففي الحديث الشريف : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله »^(١) .

« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يُسلمه - أي لا يترك نصرته - من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة »^(٢) .

وجعل الإسلام للمسلم على المسلم حقوقاً ينبغي أن يراعيها :

ففي الحديث الشريف : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس »^(٣) .

وأمر الإسلام بالإصلاح بين الناس :

قال الله تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من

(٢) البخاري ومسلم .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) البخاري ومسلم .

أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴿^(١)﴾ .

﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ... ﴾ ^(٢) .

﴿ إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين
أخويكم ﴾ ^(٣) .

وأمر الإسلام بملاطفة اليتيم والبنات والضعفة والمساكين ،
وبالإحسان إليهم ، والشفقة عليهم ، والتواضع معهم ، وخفض
الجناح لهم :

قال الله تعالى : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ ^(٤) .

﴿ فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا
تنهر ﴾ ^(٥) .

وفي الحديث الشريف : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا -
وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما - » ^(٦) .

(٢) ١ - الأنفال .

(٤) ٨٨ - الحجر .

(٦) البخاري .

(١) ١١٤ - النساء .

(٣) ١٠ - الحجرات .

(٥) ١٠٩ - الضحى .

« الساعي على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله ،
وكالقائم الذي لا يفتر ، وكالصائم الذي لا يفطر »^(١) .

« من عال جاريتين - أي قام بمئونة بنتين وحسن
تربيتها - حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة ، أنا وهو كهاتين -
وضم بين أصابعه - »^(٢) .

قال الله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه
وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما
أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما
قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ،
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾^(٣) .

وفي الحديث الشريف أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أي
العمل أحب إلى الله ؟
قال : « الصلاة على وقتها » - أي في وقتها المحدد لها -

(٢) مسلم .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) ٢٣ و٢٤ - الإسراء .

قال : ثم أيّ ؟

قال : « بر الوالدين »

قال : ثم أيّ ؟

قال : « الجهاد في سبيل الله »^(١) .

وأمر الإسلام بصلة الأرحام ، ونهى عن القطعية :
ففي الحديث الشريف : « من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليصل رحمه .. »^(٢) .

ليس الواصل بالمكفئ ، ولكنّ الواصل الذي إذا
قطعت رحمه وصلها »^(٣) .

« لا يدخل الجنة قاطع »^(٤) أي قاطع رحمه .

وأمر الإسلام برعاية حق الجار :

قال الله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى واليتامى

(٢) البخاري ومسلم .

(٤) البخاري ومسلم .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) البخاري .

والمساكين والجار ذي القربى ، والجار الجنب ﴿ أي
 البعيد ﴾ والصاحب بالجنب ﴿ أي الرفيق في علم أو
 صناعة أو سفر ﴾ وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ﴿^(١) -
 أي العبيد والأرقاء . -

وفي الحديث الشريف : « ما زال جبريل يوصيني
 بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه » ^(٢) .

« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ! »

قيل : من يارسول الله ؟

قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه » ^(٣) - أي شروره . -

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » ^(٤)

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى

جاره » ^(٥)

(٢) البخاري ومسلم .

(٤) البخاري ومسلم .

(١) ٣٦ - النساء .

(٣) البخاري ومسلم .

(٥) مسلم .

وأمر الإسلام بتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل :
 ففي الحديث الشريف : « إن من إجلال الله - أي
 تعظيمه - إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي
 فيه والجافي عنه - أي غير التارك له - وإكرام ذي السلطان
 المقسط »^(١) - يعني العادل - .

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق
 كبيرنا »^(٢) .

وحضّ الإسلام على الحب في الله ، وإعلام الرجل من
 يحبه بأنه يحبه :

ففي الحديث الشريف : « ثلاث من كنّ فيه وجد
 حلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله .

وأن يكره أن يعود في الكفر ، كما يكره أن يقذف في
 النار »^(٣) .

(٢) أبو داود .

(١) أبو داود
 (٣) البخاري ومسلم .

وفي حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله :

« رجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه »^(١) .

وفي حديث آخر : « إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه »^(٢) .

وأمر الإسلام بالتواضع وحرّم الكبر :

قال الله تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾^(٣)

﴿ ولا تصغر خدك للناس ﴾ أي لا تَمِلِه كبراً ﴿ ولا تمش في الأرضِ مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾^(٤) .

وفي الحديث الشريف : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه

(٢) أبو داود والترمذي .

(٤) ١٨ - لقمان .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) ٢١٥ - الشعراء .

الله» (١) .

وكان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعاً ، يعمل في مهنة أهله - أي خدمة أهله - .

وكان يجلس حيث انتهى به المجلس .

واشترى حاجة من السوق ، فأراد بعض أصحابه أن يحملها عنه ، فقال : « صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله »

وأمر الإسلام بالعتو والإعراض عن الجاهلين ، واحتمال الأذى :

قال الله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ (٢) .

وجاء أعرابي ف جذب النبي ﷺ بردائه ، حتى أثرت حاشية الرداء بعاتقه ، وقال : يا محمد ، مُر لي من مال الله الذي عندك .

فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعتاء (٣) .

(٢) ١٩٩ - الأعراف .

(١) مسلم .

(٣) البخاري ومسلم .

وفي الحديث الشريف : « ليس الشديد بالصُّرعة - الذي يغلب الناس ويصرعهم - إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »^(١) .

وأمر الإسلام بالوفاء بالعهد ، وإنجاز الوعد :
قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾^(٢) .

ونهى عن خلف الوعد ، وجعله من علامات النفاق :
ففي الحديث الشريف : « آية المنافق ثلاث :
إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »^(٣) .

وأمر الإسلام بطيب الكلام ، وطلاقة الوجه عند اللقاء ،
ونهى عن الغلظة والفظاظة والعبوسة :
قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٤) ...

(٢) ٣٤ - الإسراء .

(٤) ١٥٩ - آل عمران .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) البخاري ومسلم .

وفي الحديث الشريف : « الكلمة الطيبة صدقة »^(١) .

« لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق^(٢) » - أي متهمل بالبشر والابتسام - .

وكما رغب الإسلام بما يؤلف بين القلوب نهى عن كل ما يفرق بين القلوب ، ويضعف روابط المحبة والإخاء :

نهى الإسلام عن الغيبة وسامعها وعن سوء الظن والتجسس :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْتَب بَِعْضُكُم بَعْضًا ... ﴾^(٣) .

وفي الحديث الشريف يبين الرسول ﷺ معنى الغيبة فيقول :

« الغيبة ذكرك أخاك بما يكره »^(٤) .

(٢) مسلم .

(١) البخاري ومسلم .

(٤) مسلم .

(٣) ١٢ - الحجرات .

ونهى الإسلام عن النيمة ، وهي تقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد .

قال الله تعالى في معرض الذم : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنِيمٍ ﴾^(١) .

وفي الحديث الشريف : « لا يدخل الجنة تَمَامٌ »^(٢) .

وحرم الإسلام الغش والخداع .

ففي الحديث الشريف : « من غشَّنَا فليس منا »^(٣) .

ونهى الإسلام عن أكل الثوم والبصل وما له رائحة كريهة لمن أراد دخول المسجد حذراً من التنفير .

ففي الحديث الشريف : « من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا »^(٤) .

فله در الإسلام من دين يأمر بالألفة والمحبة والوئام

(٢) البخاري ومسلم .

(١) ١١ - ن .

(٤) البخاري ومسلم .

(٣) مسلم .

وأسبابها ، وينهى عن التنافر والاختلاف والخصومة
وأسبابها ! .



الإسلام دين العدل والمساواة

ومن محاسن الإسلام دعوته إلى العدل والمساواة :
قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ ... ﴾^(١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... ﴾^(٢) .
﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾^(٣) .

وخطب رسول الله ﷺ الناس في أواسط أيام التشريق
فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبِّكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى
عَجْمِي ، وَلَا لِعَجْمِي عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ ، وَلَا
لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ - وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ - إِلَّا بِالْتَقْوَى ، إِنْ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ »
قالوا : بلى يارسول الله !
قال : « فليبلغن الشاهد الغائب »^(٤) .

(٢) ٩٠ - النحل .

(١) ١٥٢ - الانعام .

(٤) البيهقي .

(٣) ١٣ - الحجرات .

وفي الحديث الشريف : أن قريشاً أهمهم شأن المرأة الخزومية التي سرقت .

فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟

فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ، حب رسول الله ﷺ وابن جبه ؟

فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ »

ثم قام وخطب ، ثم قال : « إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف ، أقاموا عليه الحد ، وإني لله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ... » (١) .

ولهذا كان الضعفاء والمساكين ، من أسبق الناس إلى الإسلام .

ففي حديث أبي سفيان حين دعاه هرقل ملك الروم

(١) البخاري ومسلم .

ليسأله عن رسول الله ﷺ قوله :

ومن يتبعه : أشرف الناس أم ضعفاؤهم ؟

قال أبو سفيان : بل ضعفاؤهم !

فقال هرقل : وهم أتباع الرسل^(١) .

وفي سيرة السلف الصالح قصص رائعة ، في العدل
الشامل ، والمساواة الصادقة :

دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع
رجل على قاضي المدينة زيد بن ثابت رضي الله عنه ،
ليحتكما إليه .

فقام زيد تعظيماً لعمر ، وقال : إلى هنا يأمر المؤمنين .

فقال عمر : هذا أول الجور في حكمك . بل أجلس هنا إلى
جانب خصمي .

ولما قضى المجلس وخرج قال له :

والله لا يدرك زيد القضاء - أي لا يكون أهلاً له - حتى

(١) البخاري .

يكون عنده عمر وأضعف رجل في المسلمين سواء .

وكان علي كرم الله وجهه جالساً مرة إلى جانبه ، فدخل
يهودي يدعي عليّ شيئاً .
فقال عمر : قم يا أبا الحسن ، فاجلس إلى جانب خصمك .
فقام علي ، وقد تغير لونه .

فلما انقضى مجلس الحكم ، وخرج اليهودي سأل عمر
علياً عن سبب تلونه ، وقال :
أكرهت يا أبا الحسن أن تجلس إلى جانب خصمك ؟
قال : لا يا أمير المؤمنين ، لقد ساءني أنك كنتي في
مجلس الحكم ، فقلت : يا أبا الحسن ، وكان ينبغي أن تقول :
قم يا علي !

ففرح بذلك عمر ، وقام إليه ، وقبل رأسه ، وقال :
بأبي وأمي أنتم أهل بيت رسول ﷺ ، منكم جاءنا الخير .
وأسلم جبلة بن الأيهم ، آخر ملوك الفساسنة ، وجاء مكة
للحج ، وبينما هو يطوف حول الكعبة المعظمة ، وطيء

أعرابي إزاره ، فساء ذلك جَبَلَة ، ولطم الأعرابي ، فأذى عينه .

فاشكى الأعرابي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فدعا عمر جَبَلَة ، وسأله عن ذلك ، فاعترف .
 فقال له : إما أن ترضيه ، وإما أن يلطمك كما لطمته .
 فقال جبلة مستنكراً حكه : يا أمير المؤمنين ، أنا ملك وهو سَوْقة - أي من عامة الناس - .
 فقال عمر : الإسلام سَوَى بينكما .
 فاستهل جبلة عمر ، فأمهله ، فخرج من مكة مستخفياً
 وهرب .

وكان عمرو بن العاصي رضي الله عنه والياً على مصر بعدما فتحها في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فنزله ابن له في سباق الخيل مع جماعة من الفرسان ، وقد برع في الفروسية واعتاد أن لا يُسَبَق .

فسبقه أعرابي ، فسأه ذلك ، فضربه بعصاه وقال :
 خذها وأنا ابن الأكرمين !
 فذهب الأعرابي إلى المدينة ، وشكا أمره إلى عمر .
 فكتب عمر إلى واليه عمرو بن العاص ، يستقدمه مع
 ولده هذا .

فتوجّه إلى المدينة ، ودخلا على أمير المؤمنين ، واعترف
 الولد بما جرى .
 فأعطى عمر الدرة - وهي عصاه - للأعرابي المظلوم ،
 وقال :

اضرب ابن الأكرمين .

فضربه حتى اشتفى .

فقال عمر : ضعها على صلعة أبيه ، فوالله ما ضربك إلا
 اعتزازاً به .

فقال : لا يا أمير المؤمنين ، لقد ضربت من ضربني .
 فحذّر عمر واليه عمراً وولده أن يعودا إلى شيء من
 ذلك ، وقال لهما قولته المشهورة :

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!!

وجاءت برود من الين ، فوزعها عمر رضي الله عنه على
المسلمين برداً برداً .

وخرج عمر في بردين يخطب في الناس . وقال : اسمعوا
وأطيعوا .

فقام أعرابي وقال : والله لا نسمع ، والله لا نسمع ،
وزعت على الناس برداً برداً ، وخرجت تخطب في بردين !
فقال عمر : عجلتَ عليّ أيها الرجل ، أين ولدي عبد
الله ؟

فقال : هأنذا يا أمير المؤمنين .

قال : لمن أحد هذين البردين اللذين عليّ ؟

قال : لي يا أمير المؤمنين .

فقال عمر للرجل : إني استعرت برد ولدي عبد الله

ليكون مع بردي عليّ حلة .

فقال الأعرابي : أما الآن فالسمع والطاعة .

ولما صالح خالد بن الوليد رضي الله عنه أهل حمص على

الجزية ، وجمعوها له ، وأدوها إليه ، سمع بجموع من الروم

تجمعت لصدّه . فخشي أن لا يستطيع صدم ، وأن لا يحفظ عهد أهل حمص ، فجمع كبراءهم ، وردّ إليهم أموالهم ، وقال : إن نصرنا الله عليهم فنحن على العهد ، وإلا فهذه أموالكم نردها عليكم .

فعجب أهل حمص من هذه العدالة والإنصاف ، وقالوا : والله لو كانوا هم - يعني رؤساءهم - ما ردها إلينا ، ولأخذوا فوقها . ودعوا للمسلمين بالنصر .



الإسلام دين النظام والانتظام

ومن محاسن الإسلام ما غرسه في نفوس أتباعه من حب النظام والطاعة والانتظام . فقد رباهم على ذلك في تشريعه ، ليسعد مجتمعهم ، ولتكون حياتهم مظهر حضارة فذة .

جعل الإسلام للعبادات أوقاتاً محددة ، ينبغي أن تؤدي فيها ، ولا يصح أن تتعدها :
قال الله تعالى في الصلاة :

﴿ إِن الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾^(١) .

وجعل من شروطها دخول وقتها ، فلا يصح أن تقدم صلاة على وقتها ، وفي تأخيرها عن وقتها إثم كبير .

وشرع الإسلام للمسلمين الجماعة في صلواتهم ، فإذا اجتمعوا في مساجدهم ، اقتدوا بإمام واحد ، ولو كانوا ألوفاً مؤلفة ، فيكبرون إذا كبر ، ويركعون إذا ركع ، ويرتفعون إذا

(١) ١٠٢ - النساء .

ارتفع ، ويسجدون إذا سجد ... لا يسبقونه بقول ، ولا
يبتدرونه بعمل .

فما أجلّ الصلاة عبادة ، مربية على النظام والانتظام !

وقال تعالى في شرع الصيام :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون * أياماً
معدودات ... ﴾^(١)

إلى أن قال : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه
القرآن ... ﴾^(٢)

فلا يتقدم موعد صيام المسلمين عن هذا الشهر ولا
يتأخر .

وإذا صاموا أبيح لهم الطعام والشراب وسائر المفطرات في
الليل ، وحرم عليهم ذلك في النهار :

﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض

(٢) ١٨٥ - البقرة

(١) ١٨٢ - البقرة .

من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ... ﴿^(١) .

يأكل المسلمون في ليلهم ويشربون ، فإذا طلع الفجر أمسكوا إمساك الرجل الواحد ، وإذا غربت الشمس ، أفطروا إفطار الرجل الواحد .

فما أجلّ الصيام عبادة ، مربية على النظام والانتظام !

وفرض الإسلام الزكاة في الأموال إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول ، وفي الزرع والثمار عند حصادها . وهي جزء من المال يؤديه الأغنياء بمقدار معين ، ونظام محدود ، فإذا أخروها عن موعدها أثموا .

وفرض الإسلام الحج ، يؤديه المستطيعون في العمر مرة ، في وقت معين من كل سنة :

﴿ الحج أشهر معلومات ... ﴾^(٢) .

(١) - البقرة .

(٢) - البقرة .

وتبدأ أعمال الحج بالإحرام من الميقات ، لا يجوز للحاج أن يجاوزه بلا إحرام .

ومنع الإسلام الحاج مدة إحرامه من أمور تسمى : « محظورات الإحرام » فلا يأتيها الحاج مدة إحرامه ، كالطيب ولبس المخيط المعتاد ، وحلق الشعر ، وقلم الظفر .. فيجتنبها الحاج ما دام محرماً ، إلى أن يتحلل من حجه ، ويفرغ من نسكه .

وأمر الإسلام الحاج أن يقف بعرفة بعد زوال اليوم التاسع من ذي الحجة ، وجعل هذا الوقوف في وقته المعين أعظم أركان الحج ، إذا أدركه من زوال شمس اليوم التاسع إلى طلوع فجر يوم النحر أدرك الحج ، وإذا فاته فاته الحج .

وشرع الإسلام للحج رمي الجمرات يوم النحر وفي أيام التشريق ، في أوقات معينه ، وبمحصات معدودة ، وأوجب رميها على وجه معين وعدد محدود ، إذا أخل به أثم ، ولزمه دم .

وأمر المسلمين بوحدة الصف واجتماع الكلمة ، وبند التدابير
والاختلاف والتنازع ، فقال الله عز وجل :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ... ﴾^(١)

﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾^(٢)

- أي قوتكم - .

وفي الحديث الشريف : « يدُ الله مع الجماعة »^(٣) .

ونظم الإسلام العلاقات الزوجية ، فجعل لكل من
الزوجين على الآخر حقوقاً يجب أداؤها ، وجعل سيادة
الأسرة للرجل ، وبالقيام بهذه الحقوق ورعايتها تسعد الأسر ،
وبسعادة الأسر يسعد المجتمع .

ونظم الإسلام علاقة الرعاة بالرعية ، وأمر الرعية
بالطاعة في غير معصية :

(٢) ٤٦ - الأنفال .

(١) ١٠٣ - آل عمران .

(٣) الترمذي .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ... ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (٢) .

استأذن الخليفة أبو بكر رضي الله عنه أسامة بن زيد رضي الله عنه قائد الجيش حين خرج يودعه بإبقاء عمر عنده وإعفائه من الخروج معه ، ليستعين برأيه في الأمور . فأذن أسامة ، وبقي عمر ولم يخرج معه .

اجتمع خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما في قيادة جيش المسلمين في اليرموك . في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه ، فلما توفي أبو بكر وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كتب إلى خالد يأمره بأن يعتزل القيادة ، ويدعها لأبي عبيدة ، فلما وصل إليه

(١) - النساء .

(٢) مسلم .

الكتاب قرأه وسلمه لأبي عبيدة ، وحيّاه تحية الجندي لقائده ،
وقال :

« لا فرق عندي بين أن أكون قائداً في جيش المسلمين أو
جندياً ، كنتُ أمرُك فتطيعني ، والآن تأمرني فأطيعك » .

ولما تولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الخلافة ،
واشتهر بالعدل ، كتب إليه أهل « سمرقند » يقولون :
إن جيش المسلمين حين فتح بلدكم لم يهلهم ثلاثة أيام .

فكتب الخليفة الراشد إلى واليه في « سمرقند » يأمره أن
يحتكم في ذلك إلى قاضي المسلمين فيها ، وأن ينزل عند حكمه .

فحكم قاضي المسلمين ، أن يخرج المسلمون من سمرقند إلى
مسافة بعيدة ، ثم يعودوا ، فيعرضوا على أهلها الإسلام ، فإن
استجابوا وإلا عرضوا عليهم الجزية ، وأن يهلوم ثلاثة أيام ،
فإن أبوا كان القتال .

فلما رأوا خليفة المسلمين يرد الحكم إلى قاضي المسلمين ،
ويحكم القاضي بخروجهم من بلدكم بعد أن دخلوها ، رضوا
بحكم المسلمين ، ولم يكلفهم خروجاً ، ولا عرضاً جديداً .

فله در الإسلام ، من دين رحمة وعدل ، ونظام
وانتظام !

☆ ☆ ☆

الإسلام دين الشعور بالمسئولية

ومن محاسن الإسلام تربيته في نفوس المسلمين الشعور بالمسئولية .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ... ﴾^(١) .

﴿ وَأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ... ﴾^(٢) .

وفي الحديث الشريف : « كلّم راع ، وكلّم مسؤل عن رعيته : الإمام راع ومسؤل عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسؤل عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤلة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤل عن رعيته . فكلّم راع ومسؤل عن رعيته »^(٣) .

(١) - ٦ - التحريم .

(٢) - ١٣٢ - طه .

(٣) البخاري ومسلم .

ولما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 الخلافة ، هابه الناس هيبة شديدة ، حتى ترك الناس المجالس
 في الألفية - أمام الدور -

قالوا : ننتظر ما رأي عمر ؟

فلما بلغ عمر أن الناس هابوه ، أمر منادياً ينادي فيهم :
 الصلاة جامعة .

فحضروا ، ثم جلس من المنبر حيث كان أبو بكر رضي
 الله عنه يضع قدميه ، ووضع قدميه على الأرض ، فلما
 اجتمعوا قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على
 النبي ﷺ ، ثم قال :

بلغني أن الناس قد هابوا شديتي ، وخافوا غلظتي ،
 وقالوا : قد كان يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ،
 ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف إذا صارت
 الأمور إليه ؟

ومن قال ذلك فقد صدق : قد كنت مع رسول الله
 ﷺ ، فكنت عبده وخادمه ، وكنت سيفاً مسلولاً حتى

يغمدني أو يدعني فأمضي ، حتى قبض رسول الله ﷺ وهو
عني راضٍ والحمد لله ، وأنا أسعد بذلك .

ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر ، فكنت خادمه وعونه ،
أخلط شدتي بليته ، فكنت سيفاً مسلولاً ، حتى يغمدني ، أو
يدعني فأمضي ، فلم أزل معه كذلك ، حتى قبضه الله عز
وجل ، وهو عني راضٍ والحمد لله ، وأنا أسعد بذلك .

ثم إنني وليت أموركم أيها الناس ، واعلموا أن تلك الشدة
قد أضعفت ، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على
المسلمين . فأما أهل السلامة والدين والفضل ، فأنا ألين لهم
من بعضهم لبعض . ولست أدع أحداً يظلم أحداً ، ويتعدى
عليه ، حتى أضع خده على الأرض ، وأضع قدمي على الخد
الآخر حتى يذعن بالحق .

ولكم عليّ أيها الناس أن لا أخبأ شيئاً من خراجكم ، وأن
لا ألقىكم في المهالك ، وإذا غبتم في البعوث - أي في الجهاد -
فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم .
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن : فوفى
 والله عمر ، وزاد في الشدة في مواضعها ، واللين في مواضعه .
 وكان أبا العيال حتى إن كان ليمشي إلى المَغِيَّات - اللاتي غاب
 أزواجهن - فيسلم على أبواجهن ، ثم يقول :
 أَلَكُنَّ حَاجَةٌ ؟ أَذَاكَنَّ أَحَدٌ ؟ أَتَرَدُنَّ أَشْتَرِي لَكُن شَيْئاً مِنْ
 السُّوقِ ؟ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَخْدَعْنَ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ .

فيرسلن معه بجواريهن ، فيدخل السوق ، وإن وراءه من
 جوارى الناس وغلماهم مالا يحصى ، فيشتري لهم حوائجهم .
 وكان إذا قدم الرسول من بعض البعوث ، يتبعهن هو
 بنفسه بكتب أزواجهن ، ويقول لهن :

إِنْ أَزْوَاجِكُن فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاتَّنَّ فِي بَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ ، إِنْ كَانَ عِنْدَكُن مِنْ يَقْرَأُ وَإِلَّا فَادْنِينَ مِنَ الْبَابِ حَتَّى
 أَقْرَأَ لَكُنَّ .

ثم يقول : يخرج رسولنا يوم كذا وكذا ، فاكتبن حتى
 نبعث بكتبكن .

ثم يدور عليهن بالقرطيس والدوي - جمع دواة - فمن كتبت منهن أخذ كتابها ، ومن لم تكتب قال :
 هذا قرطاس ودواة ، ادني من الباب فألمي عليّ .
 فيمر على كذا وكذا باباً ، فيكتب لأهله ، ثم يبعث بكتبهن .

وإذا كان في سفر ، نادى الناس في المنزل عند الرحيل :
 ارحلوا أيها الناس .
 فيقول القائل : أيها الناس هذا أمير المؤمنين قد ناداكم ،
 فقوموا فاسقوا ورحلوا .
 ثم ينادي الثانية : الرحيل .
 فيقول الناس : اركبوا ، فقد نادى أمير المؤمنين الثانية .

فإذا ركبوا قام فرحل بعيره ، وعليه غرارتان ، إحداها فيها سويق ، والأخرى فيها تمر ، وبين يديه قربة ماء ، وخلفه جفنة - وعاء كبير - كلما نزل جعل في الجفنة من السويق ، وصب عليه من الماء ، وبسط شيئاً مثل النطع - أي الجلد - فن جاء يخاصم أو يستفتي أو يطلب حاجة ، قال له :

كل من هذا السويق والتمر .

ثم يرحل ، فيأتي المكان الذي رحل الناس منه ، فإن وجد متاعاً ساقطاً أخذه ، وإن وجد أحداً به عرجة ، أو عرض لدابته أو بعيره تكارى - أي استأجر - له ، وساق به .

فيتبع آثارالناس كذلك ، فإذا أمسى الناس ، لم يفقد أحد متاعاً له سقط منه إلا قال :

حتى يأتي أمير المؤمنين !

فيطلع عمر ، وإن جملة مثل المشخب - أي ما ارتفع من الجبل - مما عليه من المتاع . فيأتي هذا ، فيقول : يا أمير المؤمنين إداواتي - والإداوة وعاء من جلد يوضع فيه الماء للوضوء والشرب - .

فيقول عمر معاتباً : وهل يغفل الرجل الحلیم عن إداوته التي يشرب فيها ويتوضأ للصلاة منها ؟ أو كل ساعة أبصر ما يسقط ، أو كل الليل أكلاً - أي أحفظ - عيني من النوم ؟ ثم يرفع إليه إداوته .

ويقول هذا : قُوسِي . وهذا : رشاي ، ما وقع ما منهم .
 فيعتنّفهم ثم يدفع ذلك إليهم .

وكان رضي الله عنه لا ينام في ليل ولا نهار ، فقيل له في ذلك .

فقال : إن نمت في النهار ضيعت رعيتي ، وإن نمت في الليل ضيعت نفسي .

فكان يغفو غفوات وهو جالس .

وكان يقول : لو أن بغلة عثرت في العراق ، لحشيت أن أسأل عنها ، لِمَ لم أعبد لها الطريق .

وخرج مرة في الليل ، يستطلع أحوال الرعية ، فر بجناب أعرابية في ظاهر المدينة ، وحوها أولاد يبكون من الجوع ، وعلى النار قدر !

فقال لها : ما شأن هؤلاء الصبية يبكون ؟

قالت : من الجوع .

قال : وما في هذا القدر ؟!

قالت : ماء أعللهم به حتى يناموا .

فرجع إلى بيت المال ، وحمل إليها شيئاً من الطحين ،
 وشيئاً من السمن ، وعاد إليها ، فلما وصل جعل السمن على
 النار ، وذرّ فوقه من الطحين ، وأخذ ينفخ النار بفمه ،
 حتى هبأ لهم ما يأكلون ، وأجلس الصبية حوله يطعمهم
 بيده ، حتى شعبوا وضحكوا .

وكان معه رجل من الصحابة ، فقال له :
 إني لما رأيت الصبية يبكون من الجوع ، شعرت كأن
 جبال الدنيا على ظهري ، فلما شعبوا وضحكوا ، شعرت كأنها
 انزاحت عن ظهري !

وخرج مرة ليلاً كعادته ، فر بأعرابي جالس بفناء
 خيمته ، فجلس إليه يحدثه ويسأله ، وهو لا يعرفه ، وقال
 له :

ما أقدمك هذا البلد ؟

وبينا هو كذلك ، إذ سمع أنيناً من الخيمة .

فقال : من هذا الذي أسمع أنينه ؟

قال : أمر ليس من شأنك ، امرأة أخذها المخاض .

فرجع عمر إلى منزله ، وقال لزوجته : يا أم كلثوم ،
شدي عليك ثيابك واتبعيني ، وأخبرها خبر المرأة ، ثم انطلق
حتى انتهى إلى الرجل .

فقال له : هل لك أن تأذن لهذه المرأة ، أن تدخل عليها
فتؤنسها ؟

فأذن لها فدخلت ، فلم تلبث أن قالت :
ياأمير المؤمنين ، بشر صاحبك بسلام .
فلما سمع الأعرابي قولها : أمير المؤمنين ، وثب من
حينه ، فجلس بين يديه ، وجعل يعتذر إليه .
فقال : لا عليك ، إذا أصبحت فأتنا .
فلما أصبح أتاه ، ففرض لابنه في الذرية ، وأعطاه .

وخرج رضي الله عنه مرة في سواد الليل ، فرآه طلحة
رضي الله عنه ، فمشى معه ، فذهب عمر فدخل بيتاً ، ثم
دخل بيتاً آخر ، ثم خرج ومشى معه ولم يحدثه عما فعل .

فلما أصبح طلحة ، ذهب إلى ذلك البيت ، فإذا بعجوز
عمياء مقعدة .

فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك من الليل ؟
 قالت إنه يتعهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني ، ويخرج
 عني الأذى . ولا أعرفه !
 فقال طلحة : ثكلتُك أمك ياطلحة ، أعثرتِ عمر
 تتبّع !؟

وعن مولى لعثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال :
 بينما أنا مع عثمان في مال له في العالية - في ضواحي
 المدينة - في يوم صائف ، إذ رأى رجلاً يسوق بَكْرين -
 جملين فتيين - وعلى الأرض مثل الفراش من الحر .

فقال عثمان وهو لم يعرفه : ما على هذا لو أقام بالمدينة
 حتى يبرد النهار ثم يروح ؟
 ثم دنا الرجل ، فقال : انظر من هذا ؟
 فنظرت فقلت : أرى رجلاً معماً بردائه ، يسوق
 بَكْرين .

ثم دنا الرجل ، فقال : انظر .
 فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب ، فقلت : هذا أمير
 المؤمنين .

فقام عثمان ، فأخرج رأسه من الباب ، فإذا لَفَحَ السَّموم .
فأعاد رأسه ، حتى إذا حاذاه قال : ما أخرجك هذه
الساعة ؟

فقال : بكران من إبل الصدقة تخلفا عن المرعى ، وقد
مضى الراعي بإبل الصدقة ، فأردت أن ألحقهما بالحمل ،
وخشيت أن يضيعا ، فيسألني الله عنهما !

فقال عثمان : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلَمْ إِلَى الْمَاءِ وَالظِّلِّ ،
وَنَكْفِيكَ .

قال : عد إلى ظلك .

فقال : عندنا من يكفيك .

فقال : عد إلى ظلك ، ومضى .

فقال عثمان : من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين ،
فليُنظر إلى هذا ؟

وكان رضي الله عنه إذا استعمل عاملاً ، كتب عليه
كتاباً ، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار ، ثم يقول
له :

إني لم أستعملك على دماء المسلمين ، ولا على أعراضهم ،
 ولا على أستارهم ، ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة ،
 وتقسم فيهم ، وتحكم بينهم بالعدل .

ثم يشترط عليه أن لا يأكل ولا يلبس ربيعاً ، ولا يركب
 بردوناً ، ولا يفلق بابه دون حاجات الناس .

وبينما كان يمشي مرة في طريق من طرق المدينة ، إذ
 لقيه علي ، ومعه الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فسلم عليه
 علي كرم الله وجهه وأخذ بيده . فاكتنفاهما الحسن والحسين
 عن يمينها وشمالها .

فعرض لعمر من البكاء ما كان يعرض له .
 فقال له علي : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟
 قال عمر : ومن أحق مني بالبكاء يا علي ، وقد وليت أمر
 هذه الأمة ، أحكم فيها ، ولا أدري أمسى أنا أم محسن ؟
 فقال له علي : والله إنك لتعدل في كذا ، وتعديل في
 كذا .

فما منعه من البكاء .

ثم تكلم الحسن بما شاء الله ، فذكر من ولايته وعدله ، فلم يمنعه ذلك .

فتكلم الحسين بمثل كلام الحسن ، فانقطع بكاؤه عند انقطاع كلام الحسين .

فقال : أشهدان بذلك يابني أخي ؟

فسكتا ، فنظرا إلى أبيهما ، فقال عليّ : اشهدا ، وأنا معكما شهيد .

ودخل عليه مرة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، بإشارة عثمان وطلحة والزبير وسعد رضي الله عنهم ، ليكلمه في هيبته وشدته . وأن ذلك ربما يمنع طالب الحاجة من الدخول عليه في حاجته .

فقال عمر رضي الله عنه : والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين ، واشتدت حتى خشيت الله في الشدة ، فأين المخرج ؟

وقام يجر رداءه وهو يبكي .

ولما توفي عمر بن العزيز رضي الله عنه ، جاء العلماء
والفقهاء إلى زوجته فاطمة بنت عبد الملك يُعزّونها من وراء
حجاب ، ويذكرون عظم المصيبة التي أصيب بها المسلمون
لموته . وقالوا لها :

أخبرينا عنه ، فإن أعرف الناس بالرجل أهله .

قالت : والله ما كان عمر بأكثركم صلاة ولا صياماً ،
ولكن ما رأيت رجلاً أخوف لله من عمر :
لما ولي الخلافة أقبل شهرين على بثّه وحزنه ، مما ابتلي به
من أمور الناس .

وكان يقعد لمصالح الناس يومه ، فإن فرغ من
حوادثهم ، وإلا وصله بليله .

فأمسى ليلة وقد فرغ من حوائج الناس ، فدعا بمصباح
كان يستضيء به من ماله ، فأوقده ، ثم أخذ رأسه بين يديه
يبكي ، حتى طلع الفجر ، وأصبح صائماً .

فقلت : لأمرٍ ما هذا الذي رأيته منك الليلة يا أمير
المؤمنين ؟ .

فقال : أجل يافاطمة ، لقد رأيتني وليت أمر هذه الأمة ، فذكرت الفقير الجائع ، والغريب الضائع ، والأسير المقهور في أكناف الأرض ، وعلمت أن الله سائلني عنهم ، وأن محمداً ﷺ حجيجي فيهم ، فخفت ألا يثبت لي عند الله عذر ، ولا يقوم لي مع محمد ﷺ حجة ، فخفت على نفسي .
والله يافاطمة ، وددت أن لو كان بيني وبين هذه الإمارة بُعداً ما بين المشرق والمغرب !



12

13

14

15

16

17

الجهر بالحق والثبات عليه

ومن محاسن الإسلام ما غرسه في نفوس المسلمين من حب الصراحة والجهر بالحق والثبات عليه . وهذا من معالي الأخلاق ومحاسن الخصال :

ففي الحديث الشريف : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »^(١) .

« ولا ينعن رجلاً هيبته الناس ، أن يقول الحق إذا علمه »^(٢) .

وعن عروة رضي الله عنه أنه قال :

قلت لعبد الله بن عمرو : ما أكثر ما رأيت قريشاً نالت من رسول الله ﷺ ، فيما كانت تظهر من عداوته ؟

فقال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا :

(١) أحمد وغيره .
 (٢) رواه الترمذي وابن ماجه .

ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل : سَفَّه
أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسب
أهتنا ، ولقد صبرنا معه على أمر عظيم .

فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ، فأقبل
يشي حتى استلم الركن ، ثم مر طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم
غزوه ببعض القول .

قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ .
ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية ، غزوه بمثلها ، فعرفت
ذلك في وجهه ﷺ ، ثم مر فمضى بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها
حتى وقف ، ثم قال :
أتسمعون يامعشر قريش ؟ أما والذي نفس محمد بيده ،
لقد جئتمكم بالذبح .

قال : فأطرق القوم ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على
رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ،
ليرفؤه - أي يتلطفه - بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه
ليقول :

انصرف أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً .
 قال : فانصرف رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان من الغد ،
 اجتمعوا في الحجر ، وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض :
 ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما
 تكرهون تركتموه !

فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ ، فوثبوا عليه
 وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون :
 أنت الذي تقول كذا ، أنت الذي تقول كذا ؟
 لما كان قد بلغهم عيب ألهتهم ودينهم .
 فيقول رسول الله ﷺ : « نعم ، أنا الذي أقول ذلك »
 قال : فلقد رأيت منهم رجلاً أخذ بمجامع رداءه ، فقام
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول :
 ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول : ربي الله ؟!
 قال : ثم انصرفوا عنه ، وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً
 بلغت منه ^(١) .

(١) رواه البخاري مختصراً ، وابن حبان بتمامه .

ولما اجتمع أصحاب النبي ﷺ - وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً في دار الأرقم - ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور .

فقال : « يا أبا بكر إنا قليل »

فلم يزل أبو بكر يلح ، حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ .

وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووطىء أبو بكر ، وضرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبه بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، ويحرفها لوجهه ، ونزأ - أي وثب - على بطن أبي بكر ، حتى ما يعرف وجهه من أنفه .

وجاء بنو تميم يتعادون ، فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب ، حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكون في موته .

ثم رجعت بنو تيم ، فدخلوا المسجد ، وقالوا :
 والله لئن مات أبو بكر ، لنقتلن عتبة بن ربيعة فرجعوا
 إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى
 أجاب .

فتكلم آخر النهار ، فقال : ما فعل رسول الله ؟
 فسؤوا منه بالسنتهم وعذلوه - أي لاموه وعتبوا عليه فيما
 فعل - ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير :
 انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه .
 فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول :
 ما فعل رسول الله ﷺ ؟
 فقالت : والله مالي علم بصاحبك .
 فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه .
 فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت :
 إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟
 فقالت : ما أعرف أبا بكر . ولا محمد بن عبد الله ، وإن
 كنت تحبين أذهب معك إلى ابنك .
 قالت : نعم .

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً - قد لازمه المرض - فدنت أم جميل ، وأعلنت بالصياح ، وقالت :

والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجوا أن ينتقم الله لك منهم .

قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟

قالت : هذه أمك تسمع .

قال : فلا شيء عليك منها .

قالت : سالم صالح .

قال : أين هو ؟

قالت : في دار ابن الأرقم .

قال : فإن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً ، ولا أشرب

شرباً ، أو آتي رسول الله ﷺ .

فأمهلنا حتى إذا هدأت الرجل ، وسكن الناس ، خرجنا به يتكىء عليهما ، حتى أدخلناه على رسول الله ﷺ .

قال : فأكب عليه رسول الله ﷺ ، فقبله ، وأكب عليه

المسلمين ، ورقاً له رسول الله ﷺ رقة شديدة .

فقال أبو بكر : بأبي وأمي يارسول الله ! ليس بي بأس ،
 إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أُمِّي بَرَّةٌ بولدها ،
 وأنت مبارك ، فادعها إلى الله ، وادع الله لها ، عسى الله أن
 يستنقذها بك من النار .

فدعا لها رسول الله ﷺ ، ودعاها إلى الله فأسلمت ،
 وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً ، وهم تسعة
 وثلثون رجلاً .

وقد كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، أسلم يوم
 ضرب أبو بكر رضي الله عنه .

ودعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه -
 أو لأبي جهل بن هشام - فأصبح عمر ، وكانت الدعوة يوم
 الأربعاء ، فأسلم عمر يوم الخميس . فكبر رسول الله ﷺ
 وأهل البيت تكبيرة سُمعت بأعلى مكة ...

فقام عمر فقال : يارسول الله ، علام نخفي ديننا ونحن
 على الحق ، ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟
 قال : يا عمر إنا قليل ، قد رأيت ما لقينا .

فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق ، لا يبقى مجلس جلستُ فيه بالكفر ، إلا أظهرت فيه الإيمان .
ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش ، وهي تنتظره .

فقال أبو جهل : يزعم فلان إنك صبوت ؟
فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .
فوئب المشركون إليه ، ووئب على عتبة فبرك عليه ، وجعل يضربه ، وأدخل أصبعه في عينيه .

فجعل عتبة يصيح ، فتنحى الناس ، فقام عمر ، فجعل لا يدنوا منه أحد إلا أخذ بشريف من دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان .

ثم انصرف إلى النبي ﷺ ، وهو ظاهر عليهم ، قال :

. ما عليك بأبي وأمي ، والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر ، إلا أظهرت فيه الإيمان ، غير هائب ولا خائف .

فخرج رسول الله ﷺ ، وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد
المطلب ، حتى طاف بالبيت ...

وقدم أبو ذر الغفاري رضي الله عنه على رسول الله ﷺ
في مكة ، فاحتال في الدخول عليه ، حتى دخل وأسلم .

فقال له النبي ﷺ : ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى
يأتيك أمري .

فقال : والذي نفسي بيده ، لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس ،

فأكب عليه وقال :

ويحكم ، أستم تعلمون أنه من غفار ، وأنه من طريق

تجارتكم إلى الشام ؟

فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه وثاروا

عليه ، فأكب العباس عليه ...

ولما أسلم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، سخطت عليه أمه وقالت له :

ياسعد ، لتعودن إلى دينك ودين آبائك ، أو لأتركن الطعام والشراب ، حتى أموت ، فتُعير بي ، فيقال لك : ياقاتل أمه !

وتركت الطعام والشراب يومها ، فأدركها الجهد ، وبقيت على ذلك يومين أو ثلاثة ، حتى اشتد بها الجهد ، فجاءها وقال :

والله يأم ! لو كان لك مئة روح ، وخرجت روحاً روحاً ، ما تركت ديني لشيء أبداً ، فكلي إن شئت أو أمسكي .

ولما قدم أبو سفيان المدينة بعد صلح الحديبية . فأراد أن يزيد في الهدنة ، دخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ ، طوته دونه .

فقال : يابنيّة ، أرغبت بهذا الفراش عني ، أم رغبت بي

عنه ؟

قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت امرؤ نجس
مشرك .

فقال : لقد أصابك بعدي شر .

وقال أعرابي لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
مرة :

اتق الله يا عمر .

فهم أصحابه أن يبطنوا به ، فردم عنه وقال :

دعوه ، فوالله لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا
إذا لم نسمعها .

وهم عمر رضي الله عنه أيام خلافته أن يحد من مهور
النساء ، فقام فخطب في الناس في ذلك .

فقامت إليه امرأة وقالت : يا أمير المؤمنين ، الله يعطينا
وأنت تمنعنا :

الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ
زَوْجٍ وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ

شيئاً ... ﴿١﴾ .

فرجع عن عزمه وقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

ومرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرةً مرةً أيام خلافته في شارع من شوارع المدينة ، وأطفال يلعبون ، وفيهم عبد الله ابن الزبير وهو غلام يلعب .

فلما رأى الغلمان أمير المؤمنين هربوا ، وبقي عبد الله ابن الزبير واقفاً .

فلما وصل إليه عمر رضي الله عنه سأله :

لِمَ لم تهرب مع أصحابك يا غلام !؟

فقال بجرأة : لست مسيئاً فأهرب ، ولا في الطريق

ضيّق فأوسع لك .

فأعجبه جوابه ، وأثنى عليه .

ولما فُتحت خيبر ، وصالح النبي ﷺ أهلها على جزء من

نخيلها ، أرسل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، ليقسم

ثمرها ، ويأتي بنصيب المسلمين .

ولما سمع يهود خيبر بقدم عبد الله بن رواحة ، جمعوا له من الأموال ما يقدمونه إليه خاصة ، ليتساهل معهم في القسم .

فقال لهم عبد الله : يامعشر يهود ، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ ولا يحملني بغضي لكم على أن أحييف عليكم . خذوا أموالكم لا حاجة لي بها .

فقال اليهود : بهذا قامت السموات والأرض .

ولقي الحجاج رجلاً من الين ، يرفع صوته بالتلبية ، وهو يطوف بالبيت الحرام ، فقال له : كيف تركتم واليكم محمد بن يوسف ؟ فقال اليني : تركته جسيماً وسيماً .

فقال الحجاج : لم أسألك عن صحته ، وإنما أسألك عن سيرته .

فقال اليني : أما عن هذا فقد تركته ظلوماً غشوماً ، يرضي الخلق بمعصية الخالق .

فقال الحجاج : ويحك ، أما تعلم أنه أخي ؟

فقال اليني : وهل تطمع أن أحاييك في أخيك ، على
حساب الحق وأنا في بيته ؟

هذا قليل من كثير ، مما ورد عن السلف من الجهر
بالحق ، بلا مبالاة بالخلوق .

☆ ☆ ☆

الإسلام وأحكام الحلال والحرام

ومن محاسن الإسلام ما شرعه من أحكام الحلال والحرام .
 شرع الله تعالى الإسلام ديناً ، فأمر بما أمر ، ونهى عما
 نهى ، وأحلّ ما أحل ، وحرم ما حرم .
 والله تعالى حكيم ، يضع الأمور في مواضعها ، فما أمر إلا
 بما فيه مصلحة العباد ، وما نهى إلا عما فيه ضرر للعباد .

والعقول البشرية قاصرة عن إدراك الحكمة الإلهية في كل
 شيء ، وقد تدرك بعضاً وتضعف عن إدراك بعض ، فللعقل
 البشري حد ينتهي إليه .

فلا ينبغي للمسلم الحق ، أن يتوقف في امتثال أمر أو
 اجتناب نهى ، حتى يعلم الحكمة فيه ، فليس ذلك من
 العبودية لله في شيء . إذ من شأن الرب أن يأمر ، ومن شأن
 العبد أن يطيع .

على أن الله تعالى هو العلم بمصالح عباده :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(١) .

والله أحل لعباده الطيبات ، وحرّم عليهم الخبائث .
قال الله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ،
فَسَاكَبْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ
الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ ، يَا مَرْهَمَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُحَلِّ لُهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ
عَنهُمُ إِصْرَهُمْ ، وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ... ﴾^(٢) .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ... ﴾^(٣) .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطْنٌ ، وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا

(٢) ١٥٦ و ١٥٧ - الأعراف .

(١) ١٤ - الملك .

(٣) ٣٢ - الأعراف .

تعملون ﴿^(١)﴾ .

دعا الإسلام إلى فعل ما أمر الله تعالى به ، واجتناب ما
نهى عنه .

ففي الحديث الشريف : « إن الله فرض فرائض فلا
تضيّعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا
تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان ، فلا
تبحثوا عنها »^(٢) .

والتحليل والتحریم حق الله وحده ، فلا يجوز لعبد أن
يحل شيئاً أو يحرمه من عند نفسه .

قال الله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله
الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا
يفلحون ﴾^(٣) .

(٢) الدارقطني .

(١) ٣٣ - الأعراف .

(٣) ١١٦ - النحل .

في الحلال ما يغني عن الحرام

ومن محاسن الإسلام أنه ما حرّم شيئاً على الناس ، إلا
عوّضهم خيراً منه ، مما يسد مسدّه ويغني عنه :

حرّم عليهم الاستقسام بالأزلام ، وعوّضهم منه صلاة
الاستخارة ودعاءها .

وحرّم عليهم الربا ، وعوّضهم التجارة الراجحة التي تقوم
عليها مصلحة المجتمع .

وحرّم عليهم القمار - ومنه اليانصيب - وأعضاهم منه أكل
الحلال ، بالمسابقة النافعة في الدين ، بالخيل والإبل والسهام .

وحرّم على الرجال الحرير ، وأعضاهم منه أنواع الملابس
الفاخرة من الصوف والكتان والقطن .

وحرّم عليهم الزنى واللواط ، وأعضاهم عنها بالزواج
الحلال .

وحرّم عليهم الخمر وسائر المسكرات ، وأعضاهم عنها
بالأشربة اللذيذة النافعة .

وحرّم عليهم الخبائث من المطعومات ، وأعضاهم عنها
بالمآكل الطيبات .

وحرّم عليهم تصوير ذوات الأرواح من إنسان وحيوان ،
وأحلّ لهم تصوير ما ليس بذئ روح ، كالأشجار والأزهار ،
والجبال والأنهار ...

هذا وكل ما أعان على الحرام فهو حرام ، وكل من أعان
على محرّم ، فهو شريك لفاعله في الإثم .

والحيلة في التوصل إلى الحرام حرام .

كما لو اخترع الناس صوراً يتحايلون بها على أكل الربا ،
أو استحدثوا أسماء للخمر جديدة .

الورع

ومن محاسن الإسلام حصّه على الورع ، والبعد عن
الشبهات .

والورع هو ترك الشبهات خشية الوقوع في الحرام .
ففي الحديث الشريف : « إن الحلال بيّن ، وإن الحرام

بين ، وبينها أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه . ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يرتع فيه . ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه «^(١) .



(١) البخاري ومسلم .

الإسلام والمرأة

من محاسن الإسلام أنه أنصف المرأة وأتقدها من ظلم الجاهلية ، ورفع شأنها .

جاء الإسلام والمرأة في المجتمع معدودة من سقَطِ المتاع ، تباع وتشتري في الأسواق ، محرومة من كل شيء .

وكان تعدد الزوجات شائعاً بلا حد محدود ، وكانت المرأة محرومة من الميراث ، وظلت حقيرة مجهولة القدر ، رازحة تحت أعباء ظالمة ، فجاء الإسلام فأتقدها من ذلك كله ، وجعل لها كرامة وحرمة .

قال الله تعالى : ﴿ وهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ... ﴾^(١) .

المرأة وهي بنت

كان العرب يثدون البنات ، فجاء الإسلام بتحريم

(١) - ٢٢٨ - البقرة .

وأدهنّ :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ، أَيَسْكُهْ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١) ؟

وقال تعالى في معرض التنديد بوأد البنات :

﴿ وَإِذَا الْمَوْؤَدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (٢) .

وكان العرب لا يورثون النساء ، فجاء الإسلام فقرر للبنات قبل زواجهن ، ما يكفل لها ألا تكون كلاً على إخوانها ، أو أعمامها ، أو غيرهم من الأقارب ، فجعل لها نصيباً من الإرث لا يحتمل الجدل :

قال الله تعالى : ﴿ يُوَصِّيكَمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ، لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ، فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ ، فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا

(١) - ٥٩،٥٨ - النحل .

(٢) - ٩و٨ - التكوير .

النصف... ﴿١﴾

ومن الحكمة في جعل نصيبها على النصف من الابن ، أن الابن من شأنه أن يتزوج ، ويدفع مهراً من نصيبه في الميراث ، ويقوم بنفقة زوجته منه ، أضف إلى ذلك أن ما يحتاج إليه البيت من الفراش وسائر الأمتعة وغيرها ، مما تتطلب المعيشة الزوجية ، لا يجب شيء منه على المرأة شرعاً ، بل هو واجب على الزوج وحده ، كما تجب عليه نفقتها .

أما البنت ، ف شأنها أن تأخذ مهراً ونفقة من زوجها ، وتضم ذلك إلى نصيبها في الميراث .

فقال الابن مهدد بالنقص من نواحٍ شتى ، ومال البنت محفوظ لها .

ولولا ما يقوم به الرجل من الكدح والنصب في طلب الرزق ، ما استطاع أن يحمل أعباء المعيشة ، فتفضيل الابن

على البنت في الميراث ، آتٍ من قِبَل الواجبات المَنوَّعة التي ألقاها الإسلام الحنيف على كاهله ، فلا ظلم على البنت ولا غبن .

ونفقة الابن الفقير تجب له على أبيه حتى يقدر على الكسب . أما البنت فلها النفقة على أبيها حتى تتزوج . ثم يتحول الوجوب إلى زوجها . فإذا طلقت وعادت إلى بيت أبيها ، عادت نفقتها عليه بعد انتهاء ما يجب لها من النفقة على مطلقها .

وليس للأب أن يلزمها طلب الرزق كالابن ، بل إذا اتفق أنها احترفت حرفة مشروعة من تلقاء نفسها ، وكان لها من الكسب ما يسد حاجتها ، ارتفعت النفقة عن أبيها ، وإذا لم يكفها كسبها وجبت النفقة عليه .

وجعل الإسلام رضا البنت عند بلوغها سن الرشد ، شرطاً لصحة العقد عليها ، وليس لأحد أن يرغمها على الزواج بغير من تشاء .

المرأة وهي زوجة

كان الرجال في الجاهلية يرثون النساء كرهاً ، يبيء الوارث ، ويلقي ثوبه على زوج مورثه إن لم يكن منها ، ويقول : « ورثتها كما ورثت ماله » فيكون أحق بها من نفسها ، إن شاء تزوجها بلا مهر ، أو زوّجها وأخذ مهرها ، أو منعها من الزواج ليرثها إذا ماتت .

فنع الإسلام الحنيف ذلك كله .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ... ﴾^(١)

وكان العرب يعضلون النساء - أي يمنعوهن من الزواج - فينع الوارث امرأة مورثه من الزواج ، إلى أن تعطي ما أخذت من الميراث .

ويجب الرجل بنته حتى تتخلى له عما تملك ، والمطلقة مطلقة إلى أن يأخذ ما يريد منها .

(١) - النساء .

ويمتنع الزوج إذا كره زوجته ، وأحب فراقها عن
تسريحها ، ويسيء عشرتها حتى تفتدي بمهرها .

فجاء الإسلام الحنيف ، فحظر ذلك كله :
قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْضَلُوهُمْ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا
آتَيْتُمُوهُمْ ﴾^(١) .

وكانوا يسيئون معاشرتهن ، فلا يعدلون بينهن في مبيت
ولا نفقة ، فأمر الإسلام الأغر بالإنصاف بينهن في ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٢)
وقال عز وجل : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً... ﴾^(٣)

وكانوا إذا رغب أحدهم في التزوج بأخرى ، رمى زوجته
بالفاحشة ، لتفتدي بما آتاها فيسيء إليها في عرضها ومالها ،
ثم ينفق ما أخذه منها على من رغب فيها .

(٢) ١٩ - النساء .

(١) ١٩ - النساء .

(٣) ٣ - النساء .

فحرّم الإسلام البغي والعدوان .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾ .

ثم وبخهم على هذا الأخذ الأثيم :
قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَانَا وَإِثْمًا مَبِينًا ﴾^(١) !؟

وكانوا يعدون النساء من الأمتعة ، فيتصرفون فيهن بما أرادوا ، فكان الزوج ينزل عن زوجته لغيره إذا شاء بعوض أو بغير عوض ، رضيتِ الزوجة أو لم ترض .

من أجل ذلك كله استنقذ الإسلام العادل المرأة من هذه البلايا ، وجعلها سيدة محترمة ، بل راعية مسيطرة :
ففي الحديث الشريف : « كلّم راع وكلّم مسؤل عن رعيتيه : الإمام راع ومسؤل عن رعيتيه ، والرجل راع في

(١) ٢٠ - النساء .

أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها
ومسئولة عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن
رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته»^(١) .

ومن محاسن الإسلام أنه نظر بعين الرأفة والرحمة إلى
ضعف المرأة ، وتميُّز الرجل عليها بالقوى والقدرة على العمل ،
فحملته أشق الحقوق وأعظمها ، وهو إيتاء النفقة ، والقيام
بمجايات المرأة ، ولم يكلفها عمل شيء ، حتى إرضاع ولدها ،
وأمره بحفظها من مواقع الآفات ، وألزمه مهراً يؤديه إليها
قبل الدخول بها ، إلا إذا اتفقا على تأخيره .

ففي الحديث الشريف : « أيُّها رجل تزوج امرأة على ما
قل من المهر أو كثر ، ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها ،
خدعها فمات ، ولم يؤدِّ إليها حقها ، لقي الله يوم القيامة وهو
زانٍ . »^(٢)

ومن تمام عطف الإسلام على المرأة ، أنه لم يوجب عليها

(٢) الطبراني .

(١) البخاري ومسلم .

مقابل ذلك من الحقوق إلا شيئاً يسيراً . ففضى عليها بأن لا تأذن في بيت الرجل لمن لم يرضه ، وأن لا تخرج من المنزل بغير إذنه إلا لضرورة شرعية ، فكل ما وجب عليها للزوج ، فهو ترك ليس فيه عناء ، بل فيه صون شرفها ورفعته منزلتها .

ومن فضل الإسلام على الزوجة ، أنه إذا ولد للزوجين أولاد ، فنفقتهم واجبة على أبيهم دون أمهم ، ولو كانت ذات غنى ، ولا شك أن النفقة على الأولاد واجب شاق .

المرأة وهي أم

في الحديث الشريف : أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟

قال : « أمك » .

قال : ثم من ؟

قال : « أمك » .

قال : ثم من ؟

قال : « أمك » .

قال : ثم من ؟

قال : « أبوك »^(١) .

وفي هذا تبجيل للأم وتكريم .

وقرر الإسلام الحكيم للأم إذا مات ولدها أن تأخذ من ميراثه نصيباً معيناً ، لتأمين شر الحاجة في شيخوختها :

(١) البخاري ومسلم .

قال تعالى : ﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ، فإن لم يكم له ولد ، وورثه أبواه ، فلأمه الثلث ، فإن كان له إخوة ، فلأمه السدس ... ﴾^(١)

☆ ☆ ☆

المرأة في المجتمع

المرأة في نظر الإسلام كالرجل ، منحها حقوقاً ، وكلفها واجبات .

قال الله تعالى : ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾^(١) .

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾^(٢) .

﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض .. ﴾^(٣)

وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في العبادات والمعاملات المالية والعقوبات ، وفي طلب العلم أو النذب

(٢) ٩٧ - النحل .

(١) ١٢٤ - النساء .

(٣) ١٩٥ - آل عمران .

إليه ، وفي كل ما فيه صلاح النفوس والعقول والأبدان
وسلامة الدين .

وأباح لها طلب الرزق الحلال ، إذا لم يكن لها من
يعولها ، دفعاً لحاجتها ، وصوناً لشرفها .
ومنحها الحرية في التصرف بما لها كما يتصرف الرجل .



مقارنة بين الرجل والمرأة

مميزات الرجل عن المرأة

١ - جعل الإسلام الحكيم الإمامة من حق الرجل وحده ،
لوفرة أعبائها ، بما فيها من وجوب النظر في شؤون الرعية ،
وسنّ النظم ، وسوّق الجيوش إلى ساحات الحروب ... وهذا
كله مما لا يتفق مع حجابها وصيانتها .

٢ - وجعل الإسلام الطلاق بيد الرجل دون المرأة ، لأنه
هو الذي يُلزَم دفع المهر ، وما يصحبه من النفقات ، وليس
من الإنصاف أن يكون عليه الغرم وليس له الغنم . ولأن
المرأة في طبيعتها سريعة الانفعال والاستسلام للعاطفة ،
وليس من الحكمة أن تعطى في يدها عقدة الزوجية ، تحلها
متى شاءت .

٣ - وجعل الإسلام المرأتين بمنزلة رجل واحد في
الشهادة ، لقوله تعالى :

﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم

يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من
الشهداء أن تَضِلَّ إحداهما ، فتذكر إحداهما
الأخرى ... ﴿١﴾ .

وقد أثبت العلم صحة ذلك .

☆ ☆ ☆

ما اقتصت به المرأة دون الرجل

١ - فرض الإسلام الحكيم على الرجل الجهاد دون المرأة ، إلا إذا دهم العدو بلاد المسلمين ، فإن الدفاع يصبح فرضاً عاماً على الرجال والنساء .

٢ - ولا جزية على المرأة إذا غلب المسلمون على بلاد أعدائهم ، وفرضوا عليها الجزية .

٣ - ولا تجب صلاة الجمعة والعيدين على المرأة ، بل على الرجل فقط .

٤ - وإذا كانت المرأة زوجة ، فنفقتها ومطالب معيشتها الزوجية على الرجل وحده ، ولو كانت ذات غنى .

وإذا كانت أمّاً ولها أولاد فقراء ، فنفقتهم على أبيهم ، ومن ذلك أجرة الرضاعة والحضانة .

وإذا كانت بنتاً فنفقتها على أبيها وعلى غيره من أقاربها ، مادامت خالية من الزوجية ، مهما كان سنّها ، وليس لأحد أن يجبرها على طلب المعيشة .

إباحة تعدد الزوجات

ومن محاسن الإسلام إباحتها للرجل تعدد الزوجات ،
وذلك للأسباب التالية :

١ - قد تصاب المرأة بمرض مزمن أو معد ، فيضطر
الرجل إلى اقرار المعاصي .

٢ - وعدد النساء يزيد غالباً على عدد الرجال ، وهم
يخوضون المعارك الطاحنة ، فإذا امتنع التعدد ، وزاد عدد
النساء على الرجال ، لا يجد بعضهن أزواجاً يحصنونهن ،
ويقومون بإصلاح شؤونهن ، ولا غنى لهن عن الرجال ،
لضرورة الإحصان ، والتكفل بما لا بد منه للحياة ، وإن لم يتم
لهن الإحصان كثر الفساد ، ولحق العار الأسر ، وتمكنت منها
عوادي الدهر وغوائل الحياة .

٣ - وكثرة النسل ونمو العدد : وبها تقوى شوكة الأمة
الإسلامية وتعلوا سطوتها ، وتنفذ كلمتها ، فيرهبها الأعداء ،
وتتقيها الأمم . ومنع التعدد يؤدي إلى تناقص عدد الأمة بقله
النسل ، ومتى تناقص عددها لانت قناتها ، وطمع فيها

الأعداء ، وامتدت إليها الأيدي والألسنة بالسوء ، وسارت في طريق الاضمحلال والدمار .

٤ - وقد دل الإحصاء في غير الأقطار الإسلامية ، على أنّ منع تعدد الزوجات أدى إلى كثرة الأولاد غير الشرعيين ، مما دعا بعض مفكرهم إلى النظر في توريثهم ، وإلى انتشار الأمراض السارية ، التي أصابت الرجال والنساء والأطفال ، ولا قبل للطب بمكافحتها .

إباحة الطلاق

ومن محاسن الإسلام ما شرعه من إباحة الطلاق .

١ - دلت التجارب على أن الطلاق فرصة صالحة للتخلص من ضرر أشد منه ، عند استفحال أسباب الشقاق بين الزوجين ، وقام الدليل القاطع أن ما جاء به الإسلام الحكيم في شأن الطلاق ، أقرب إلى الإنسانية وأوفى بالعدالة مما جاء في غيره من الأديان والشرائع .

٢ - ولم يكن العرب في الجاهلية يرجعون إلى عدل أو إنسانية في معاملة زوجاتهم ، فجاء الإسلام مستهجنأ عاداتهم ، ومقوضاً أرنها :

قال الله تعالى : ﴿ للذين يُؤُولون من نساءهم تربص أربعة أشهر ، فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم ﴾
 ﴿ وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾

﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ، إن كن

يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ، وهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم ﴿ .

﴿ الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً ، إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴿ .

﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره... ﴿^(١)

وفي الحديث الشريف : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »^(٢) .

(٢) أبو داود .

(١) ٢٢٦ - ٢٣٠ - البقرة .

ومن تأمل في قوله تعالى :

﴿ الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح
ياحسان ﴾ .

يجد الحكمة في جعل الطلاق مرتين إيجاد فرصة للصلح
والتفاهم ، والصلح خير .

على أن الإسلام رأى إجراء التحكيم قبل الطلاق ،
ليتروى كل من الزوجين فيه قبل الإقدام عليه والقطع فيه .

فالإسلام الحكيم يعلن أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ،
وأن الطلاق مرتان ، وأن التحكيم يسبق إنفاذ الطلاق ، وأن
للمرأة حق طلب الطلاق لأسباب شرعية ، وكل ذلك لأن
الإقدام عليه قبل استيفاء أسبابه مقوّض لسعادة الأسرة ، وله
أثر سيء جداً في تربية الأبناء .

وزاد في التنفير من الطلاق قوله تعالى :

﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح
زوجاً غيره ... ﴾

فاشترط زوج آخر قبل الرجوع إلى الأول ، أكبر مانع
من إيقاع الطلاق عند المسلمين ، وهم أصحاب الغيرة والحمية ،
وأقوى رادع لهم عن ذلك .

وقد قلَّ في الناس من يرتاح إلى أن يتزوج غيره بامرأته
بعد طلاقها بدافع الغيرة والأثرة .



الحجاب

ومن محاسن الإسلام ما شرعه للمرأة من لزوم الحجاب :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ
وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلَابِيبِهِنَّ... ﴾^(١)

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ... ﴾^(٢)

لقد خلق الله تعالى البشر ، وأودع فيهم الغرائز ، وجعل
الرجل يميل إلى المرأة ، والمرأة تميل إلى الرجل ، لبقاء النوع
الإنساني على وجه الأرض إلى أجلها المحدود .

فشرع الإسلام للمرأة الحجاب ، والمباعدة بين الرجال
والنساء ، حفظاً للأنساب من الضياع ، وحفظاً للأسر من
تفكك الروابط ، وصيانة للمجتمع من الفواحش والآثام .

(١) - الأحزاب .

(٢) - النور .

ولو ترك الإنسان وشأنه في أمر غرائزه ، لانحطّ إلى
مستوى الحيوان ، ولم يحظّ بكرامة الإنسان .

فله درّ الإسلام من دين حكيم ، شرع ما يحقق للمجتمع
الصيانة والطهر والعفاف !

☆ ☆ ☆

الرقِّ في الإسلام

ومن محاسن الإسلام ما شرع في شأن الرقيق .
 كان الرق معروفاً عند جميع الأمم ، شائعاً في جميع
 البلاد ، وكان الرقيق مزدري مهاناً ، يعامل أسوأ معاملة .
 فجاء الإسلام مرغماً في عتق الرقاب ، موصياً بالإحسان
 إلى الأرقاء ، وبالرفق بهم ، واللين معهم :
 قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ
 شَيْئاً ، وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَاناً ، وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَالْجَارِ الْجُنُبِ ،
 وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ،
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ مِنْ كَانَ مُخْتَلِئاً فُخُوراً ﴾^(١) .

وفي الحديث الشريف : « إخوانكم خَوَلُكُمْ - أي خدمكم -
 جعلهم الله قُنِيَّةً - أي ملكاً - تحت أيديكم ، فمن كان أخوه

تحت يده ، فليطعمه من طعامه ، وليلبسه من لباسه ، ولا يكلفه ما يغلبه - أي ما لا يطيقه - فإن كلفه ما يغلبه فليعنه»^(١) .

« اتقوا الله في الضعيفين : المملوك والمرأة»^(٢) .

ودخل رجل على سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فرآه يعجن ، فعجب وقال له :
أليس عندك خادم !؟
قال : أرسلته في حاجته ، وكرهت أن أجمع عليه بين
عملين في يوم واحد .

وفي التاريخ مثلٌ سامية لما وصل إليه الموالي من المنزلة الرفيعة في المجتمع الإسلامي ، فقد أمر رسول الله ﷺ أسامة ابن زيد وهو في الثامنة عشرة من عمره ، على جيش فيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهم .

(١) أحمد والبخاري ومسلم .

(٢) رواه ابن عساكر .

وقد جعل الإسلام طريق الرق المحاربة الشرعية المنظمة لقوم كافرين ، بعد عرض الإسلام أولاً ، ثم الجزية ، فإن أجاب الأعداء إلى أحدهما ، عصوا أنفسهم وأموالهم ، وصار لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، وإن أبوا ودارت عليهم الدائرة ، صاروا أرقاء للغالبين بعد إذن الإمام .

على أن ذلك لا يحرمهم من نعمة الرجوع إلى الحرية ، إذا افتدوا أنفسهم بمال ، كما أن للحاكم أن يطلق سراحهم لوجه الله تعالى إذا شاء .



سُبُل تحرير الرقيق

لتحرير الرقيق في الإسلام سُبُل كثيرة ، منها مايلي :
 ١ - تحرير النفس وسيلة لغفران الذنوب ، والنجاة من النار .

ففي الحديث الشريف : « أيما رجل اعتق امرأ مسلماً ، استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار »^(١) .

٢ - وقرر الإسلام أن يتبع غير الحر من الأجزاء الحر منها :

فمن أعتق بعض عبده ، سرى العتق إلى باقيه ، وكذا لو أعتق بعض الشركاء نصيبه ، فإن العتق يسري إلى الكل ، وَيَقْوَمُ عَلَى الْمُعْتَقِ نَصِيبُ شِرْكَائِهِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ ، وَإِلَّا سَعَى الْعَبْدُ لِأَدَاءِ نَصِيبِهِمْ ، فَيُخَلَّصَ مِنَ الرِّقِّ .

٣ - وجعل الإسلام العتق كفارة للقتل الخطأ :
 قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾

(١) البخاري ومسلم .

رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة إلى أهله... ﴿^(١)

٤ - وعتق الرقبة أفضل سبيل لغفران الحنث في الحلف بالله تعالى أو بصفة من صفاته :

قال الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ - أي إذا حلفت معتقدين الصدق والأمر بخلافه - ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ - أي وثقتوها بالقصد والنية - ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفت ، واحفظوا أيمانكم... ﴾^(٢)

٥ - وعتق الرقبة كفارة الظهار .

والظهار : أن يقول الرجل لامرأته : (أنتِ عليّ كظهر أمي) يريد أنها حرام عليه كحرمة أمه . وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية ، فنهوا عن الطلاق بلفظ الجاهلية ، وأوجب

(١) ١٢ - النساء .

(٢) ٨٩ - للمائدة .

عليهم الكفارة تغليظاً في النهي .

فإذا ظاهر الرجل من زوجته ، ثم عاد لما قال ، وأمسكها في عصمته ، وجب عليه أن يسلك سبيل التحرير ، فيحرر رقبة من قبل أن يتأسا .

٦ - ومن علم في مولاه - أي عبده - الخير ، فكاتبه - أي عاقده - على قدر من المال معين ، يؤديه إليه لزمه العقد ، ونُدب الخطأ من مال الكتابة ، ويصبح المولى حراً بأداء المال المتعاقد عليه .

٧ - ومن نذر تحرير رقبة إن نال ما يرجوه ، أو سلم مما يخشاه ، لزمه الوفاء بما نذر ، متى تم له مراده .

٨ - وأباح الإسلام زواج الأحرار بالإماء :
قال الله تعالى : ﴿ ومن لم يستطع منكم طَوْلاً ﴾ - أي غنىً وسعة - ﴿ أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيما نكح من فتياتكم المؤمنات ﴾^(١) .
ثم جعل أولاد الحرائر من الأرقاء أحراراً يرثون آباءهم .

الحدود في الإسلام

ومن محاسن الإسلام ما شرعه من إقامة الحدود على المجرمين ، التي فيها زجر الناس عن الجراءة على المعاصي التي نهى الله تعالى عنها ، وفي ذلك تتحقق سعادة المجتمع .

ففي الحديث الشريف : « لَحَدُّ يَاقُمُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يَمْطُرُوا ثَلَاثِينَ صَبَاحاً »^(١) .
وفي رواية : « إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين صباحاً »^(٢) .

هذا ، وأكثر عقوبات القرآن التي توعد بها المجرمين ، عقوبات أخروية ، وقد ذكر منها كثيراً على جرائم بينها .

أما العقوبات الدنيوية ، فإن الله تعالى فرض في القرآن منها خمساً:

(١) النسائي وابن ماجه .

(٢) ابن ماجه .

١- القصاص :

إن القصاص في العرب ، كانت له نظم أوجدتها العادات والتقاليد :

فقد كانت القبيلة كلها مسؤولة عن جناية فرد منها ، إلا إذا أعلنت خلعه من المجتمعات العامة .

ولهذا قلما كان ولي المجني عليه يكتفي بالقصاص من الجاني ، ولا سيما إذا كان المجني عليه شريفاً أو سيداً في قومه ، بل كانوا يتوسعون في مطلبهم توسعاً قد يؤدي إلى الحرب بين قبيلتين ، وكثيراً ما كانت قبيلة الجاني تحميه ، فتولد من ذلك شرور وحروب قد يطول أمدها .

فجاء الإسلام محذراً للمسئولية في القصاص ، وقاصراً لها على الجاني وحده .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْقصاص فِي الْقَتلى ، الْحَرْ بِالْحَرْ ، وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ،

والأنثى بالأنثى... ﴿^(١)﴾

بيّن بذلك أن الجاني وحده ، هو الذي يؤخذ بجريسته .

ثم بيّن ضرورة نظام القصاص في هذه الحياة بأخصر عبارة وأدقها . فقال : ﴿ ولکم فی القصاص حياة یا أولی الألباب لعلکم تتقون ﴾ ^(٢) .

ويفهم هذا المعنى إجمالاً من قوله تعالى :

﴿ ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف القتل ، إنه كان منصوراً ﴾ ^(٣) .

وهذا نظام عربي أبقاه الإسلام ، وهو جعل الولاية في طلب القصاص لولي المقتول .

وكان نظام الدييات معمولاً به عند العرب ، فأبقاه الإسلام .

والإشارة إليه بقوله تعالى : ﴿ فمن عَفِيَ له من أخيه

(٢) ١٧٩ - البقرة .

(١) ١٧٨ - البقرة .

(٣) ٣٣ - الإسراء .

شئ فاتباع بالمعروف ، وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك ، فله عذاب أليم ﴿^(١) .

وقال تعالى : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ ، فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة إلى أهله ، إلا أن يصدقوا ، فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن ، فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ، فدية مسلمة إلى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبة من الله ، وكان الله عليماً حكيماً ﴿^(٢) .

وقد أوضحت السنة نظام الديات .

وأخبر القرآن الكريم عن نظام التوراة في قصاص الأطراف : قال الله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن

(١) البقرة - ١٧٨ .

(٢) النساء - ٩٢ .

بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ﴿١﴾ .

٢ - حد الزاني :

فرض الإسلام حد الزاني في القرآن مئة جلدة بدون تفصيل .

قال الله تعالى : ﴿ الزانية والزاني ، فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ، ولا تأخذكم بها رافة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين ﴾ (٢) .

وقد وردت السنة بـرجم الزاني المحصن .
(سأل أبو إسحاق الشيباني عبد الله بن أوفى رضي الله عنه : هل رجم رسول الله ﷺ ؟
قال : نعم .

(١) - المائدة .

(٢) - النور .

قال : بعدما أنزلت سورة النور أم قبلها ؟
قال : لا أدري (١) .

وفي الحديث الشريف : « أن ماعزاً الأسلمي رضي الله
عنه جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : إنه قد زنى .
فأعرض عنه ، ثم جاء من شقه الآخر ، فقال إنه قد
زنى .

فأعرض عنه ، ثم جاء من شقه الآخر ، فقال إنه قد
زنى .
فأمر به في الرابعة ، فأخرج إلى الحرة - موضع في ظاهر
المدينة ذو حجارة سود - فرجم بالحجارة حتى مات .
وفي رواية قال له : أبك جنون ؟
قال : لا ، فأمر برجه .
وفي رواية : فاختلفت فيه الصحابة ، فقال رسول الله
ﷺ :

(١) رواه مسلم .

« لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو سعتهم »^(١) .

٣ - حد القاذف :

وفرض الإسلام على من رمى محصناً أو محصنةً ثمانين جلدة :

قال الله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾ .

﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾^(٢) .

وجعل للزوج إذا رمى زوجته نظاماً خاصاً :

قال الله تعالى : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ﴾ .

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم .

(٢) ٥٤ - النور .

﴿ والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾^(١) .

ولما كانت شهادته قائمة مقام الشهداء الأربعة ، جعل الإسلام لها طريقاً لتبرئة نفسها :

قال الله تعالى : ﴿ ويذراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾^(٢) .

٤ - حد السارق :

فرض الإسلام قطع يد السارق :

قال الله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ﴾ - أي عقوبة تمنع من العود - ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ .

﴿ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ، فإن الله

(١) ٧٥٦ - النور .

(٢) ٩٥٨ - النور .

يتوب عليه ، إن الله غفور رحيم ﴿١﴾ .

وفي الحديث الشريف : « أن قريشاً أهمهم شأن المرأة الخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد ، حب رسول الله ﷺ ، وابن حبه ؟

فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ » .

ثم قام فخطب ثم قال : «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم الله لو فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (٢) .

وفي رواية : فتلون وجه رسول الله ﷺ - أي تغير وجهه غيظاً - فقال : « أتشفع في حد من حدود الله !؟ » .

(١) ٣٩،٢٨ - المائة .

(٢) البخاري ومسلم .

فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله .
قال : ثم أمرَ بتلك المرأة فقطعت يدها .

٥ - حد قطع الطريق :

فرض الله تعالى جزاء قطع الطريق فقال :
﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ،
ويسعون في الأرض فساداً ، أن يُقْتَلُوا أو يصلّبوا ،
أو تُقَطَّعَ أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو يُنْفَوْا من
الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة
عذاب عظيم ﴾ .

﴿ إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ،
فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾^(١) .

في الحديث الشريف : أن قوماً من عَكل - قبيلة
مشهورة - أو عَرينة ، قدموا على رسول الله ﷺ ، فاجتَوُوا

(١) ٣٤ و ٣٣ - المائدة .

المدينة - أي أصابهم الجوى ، وهو المرض وداء الجوف إذا
تطاول ، وذلك أنهم لم يوافقهم هواؤها .

فأمر لهم رسول الله ﷺ بِلِقَاحِ - أي إبل - وأمرهم أن
يشربوا من أبوالها وألبانها ، فانطلقوا ، فلما صحوا قتلوا راعي
النبي ﷺ واستاقوا النعم - يعني الإبل - .

فبلغ النبي ﷺ خبرهم من أول النهار ، فأرسل في
آثارهم ، فارتفع النهار حتى جيء بهم فقطعت أيديهم
وأرجلهم ، وسَمَرَ أعينهم ، وألْقُوا في الحرة - أرض خارج
المدينة ذات حجارة سود - يستسقون فلا يَسْقُونَ .
فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١) .

وليس في القرآن الكريم من العقوبات الدنيوية لأصحاب
الجرائم غير ما ذكر .

وقد يُنْتِ السنة حداً سادساً ، وهو حد شارب الخمر ،
فقد حده رسول الله ﷺ بِالْجُلْدِ .

(١) أبو داود .

من الحكمة في شرع الحدود

والإسلام شرع هذه الحدود للحكم الآتية :

١ - صلاح الأمة وتحقيق الأمن فيها ، والسعادة لها في الحياة .

قال الله تعالى : ﴿ ولکم فی القصاص حياة یا أولی الألباب لعلکم تتقون ﴾^(١) .

٢ - وزجر الجاني حتى لا يعود إلى جنائته :

قال الله تعالى في جزاء السارق والساqrقة :

﴿ جزاء بما کسبا نکالاً من الله ﴾ .

وقال في جزاء قطاع الطريق : ﴿ ذلك لهم خزي في

الدنيا ﴾ .

٣ - وكون العقوبات بدنية لشدة تأثيرها .

وهذا من محاسن الإسلام الرائعة ، فالإنسان لا يكون سعيداً في حياته ، مطمئناً بها ، إلا إذا أمن على نفسه وماله وعرضه . ولا يتحقق هذا الأمن إلا بإقامة الحدود الإسلامية الزاجرة الحاسمة ، إذ لا تخلو المجتمعات من أفراد ذوي نفوس ضعيفة مريضة ميالة إلى الإجرام والتعدي .

ومن جهل الأمم الأخرى أنها عمدت إلى وضع قوانين جزائية أخرى للمجرمين من حكمٍ بسجن ، أو دفع غرامة مالية ، ونحو ذلك... ولا تزال الجرائم في مجتمعاتهم قائمة على قدم وساق .

وهم يعيبون بجهلهم على الإسلام شرعية هذه الحدود ، ويزعمون أن من قسوة الإنسان أن يقتل الإنسان أو أن يقطع يده ..

وغفلوا عن حقيقة لا يستطيعون ردها ، وهي : أن العضو الفاسد المريض ، يقطع لسلامة سائر الجسد .

فلهذا درّ الإسلام من دين حكيم وشرع قويم ، حقق للناس الطمأنينة والأمن والسعادة والسلام .

الاحتياط في الحدود

وقد أمر الإسلام بالاحتياط في إقامة هذه الحدود وإيقاع هذه العقوبات ، حتى يكون الزجر بالشدة في الحد نفسه ، والتخفيف بالاحتياط في الإثبات .

ففي الحديث الشريف : « ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام أن يخطيء في العفو ، خير من أن يخطيء في العقوبة »^(١) .



(١) رواه الترمذي .

ردّ على إشكال

قد يعجب إنسان ويتساءل فيقول :

(كيف وقع ما وقع من الكبائر كالسرقة والزنى وشرب الخمر ، من قِبَل أفراد هم من خير القرون ، وفي عهد النبي ﷺ ، وهم المشهود لهم بالخيرية والسبق والفضل ، والغيرة على الإسلام ، والجهاد في سبيله وإعلاء كلمته) !!؟

فنقول: ليست العصمة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقد تقع المعصية من الولي ؟ ليثبت حكم العصمة لهم .

وفي الأمر - بعد هذا - سرٌّ عظيم رائع : هو أن الله تعالى شرع الإسلام ، وشرع فيه الحدود ، ولا يتم شرع الحدود بالقول ، حتى تقام بالعمل ، وتُرى بالعيان . ففرض الله تعالى بحكمته على أفراد من خير القرون ، فوقعوا فيما يوجب إقامة الحد ، ليقم الشارع عليهم الحد بنفسه ، فيتأسى به الخلفاء من بعده ، ويعرفوا كيف تقام الحدود ، وبهذا يكون الإسلام قد كل . وصدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ،
ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(١) .

اللهم حبِّبْ إلينا الإيمان ، وزَيِّنْهُ في قلوبنا ، وكرِّهْ إلينا
الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ،
والحمد لله رب العالمين .

☆ ☆ ☆

الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|-------------------------------------|--------|
| معنى الإسلام..... | ٣ |
| حالة الناس قبل الإسلام..... | ٧ |
| شمول الإسلام جميع نواحي الحياة..... | ١٠ |
| الإسلام دين العلم والعمل :..... | ١٣ |
| من آداب العالم والمتعلم..... | ١٥ |
| أقسام العلم..... | ١٦ |
| الإسلام دين المدنية الحققة..... | ١٧ |
| العبادة في الإسلام :..... | ٢٧ |
| * أولاً : الصلاة :..... | ٣٣ |
| الصلاة المطلوبة..... | ٤٠ |
| سر تكرار الصلاة في اليوم..... | ٤٢ |
| الصلاة ثقافة وتجمل..... | ٤٤ |
| الصلاة رياضة بدنية..... | ٤٦ |
| الصلاة قوة روحية ونفسية..... | ٤٧ |

- ٤٧..... الصلاة قوة خلقية
- ٤٩..... صلاة الجماعة
- ٥٠..... الأذان
- ٥١..... الجماعة في صلاة العيدين
- ٥٣..... الصلاة تربية عسكرية
- ٥٤..... المسجد ومكانته
- ٥٦..... مسجد رسول الله ﷺ
- ٥٧..... * ثانياً : الزكاة :
- ٥٨..... الزكاة حق لا تفضل
- ٥٨..... من حكمة الزكاة
- ٦٠..... الإنفاق المستحب
- ٦٣..... * ثالثاً : الصيام :
- ٦٤..... من حكمة الصيام
- ٦٧..... مقارنة بين السلف والخلف
- ٧١..... * رابعاً : الحج :
- ٧٣..... أعمال الحج
- ٧٤..... من أسرار المناسك

| | |
|----------|---------------------------------|
| ٧٥..... | آثار الحج |
| ٧٩..... | زيارة النبي ﷺ |
| ٨١..... | الأعياد في الإسلام |
| ٨٧..... | الإسلام والفضائل : |
| ٨٧..... | الإسلام دين المراقبة والإحسان |
| ٩٠..... | الوحدة الأخوية بين المؤمنين |
| ٩٧..... | الإسلام دين المحبة والوئام |
| ١١١..... | الإسلام دين العدل والمساواة |
| ١١٩..... | الإسلام دين النظام والانتظام |
| ١٢٧..... | الإسلام دين الشعور بالمسئولية |
| ١٤٣..... | الجهر بالحق والثبات عليه |
| ١٥٧..... | الإسلام وأحكام الحلال والحرام : |
| ١٦٠..... | في الحلال ما يغني عن الحرام |
| ١٦١..... | الورع |
| ١٦٣..... | الإسلام والمرأة : |
| ١٦٣..... | المرأة وهي بنت |
| ١٦٧..... | المرأة وهي زوجة |

- ١٧٣..... المرأة وهي أم.....
- ١٧٥..... المرأة في المجتمع.....
- ١٧٧..... مقارنة بين الرجل والمرأة.....
- ١٧٩..... ما اختلفت به المرأة دون الرجل.....
- ١٨١..... إباحة تعدد الزوجات.....
- ١٨٣..... إباحة الطلاق.....
- ١٨٧..... الحجاب.....
- ١٨٩..... الرق في الإسلام :
- ١٩٢..... سبل تحرير الرقيق.....
- ١٩٥..... الحدود في الإسلام :
- ١٩٦..... ١ - القصاص.....
- ١٩٩..... ٢ - حد الزاني.....
- ٢٠١..... ٢ - حد القذف.....
- ٢٠٢..... ٤ - حد السارق.....
- ٢٠٤..... ٥ - حد قطاع الطريق.....
- ٢٠٦..... من الحكمة في شرع الحدود.....
- ٢٠٨..... الاحتياط في الحدود.....

٢١٥

.

٢٠٩.....ردّ على إشكال

٢١١.....الفهرس

1

2

الناشر

دار المسائل للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤

حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ١٧٧٦٤

بيروت ص.ب : ١٣٥٣٣٧

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٨٧١ / ٨٥